كلاريس ليسبكتور

رواية

ماء حيّ

ترجمة: صفاء جبران



يجب أن يكون هناك نوعٌ من اللّوحات، لا يعتمد على الشّكل أبدًا ـ أو على الشيء ـ والذي، مثل الموسيقى، لا يوضح شيئًا، لا يحكي قصّةً، ولا يهمّ أسطورة. مثل هذه اللّوحة تكتفي باستحضار الممالك المعزولة عن الرُّوح، حيث يصبح الحلم فكرًا، حيث يصبح الخطّ وجودًا.

ميشيل سيفور



كلاريس ليسبكتور: (1920 ـ 1977) كاتبة برازيليّة ولدت في أوكرانيا، وانتقلت إلى البرازيل برفقة أسرتها خلال السنوات الأولى من حياتها. تُعتبر واحدة من أعظم كتّاب القرن العشرين تضمّ مؤلّفاتها مقالات، روايات، قصص قصيرة وأدب الأطفال. أولى رواياتها، والتي ستصدر قريبًا عن دار الآداب، بعنوان بالقرب من القلب المتوحش (1940) حازت على شهرة واسعة، كتبتها بأسلوب التيّار الواعي، ميزة حاضرة تقريبًا في جميع رواياتها؛ رواية العاطفة وفقًا لـ ع. هـ. (1964) تعتبر من كلاسيكيّات الأدب البرازيليّ؛ ساعة النجمة (1977)، آخر رواياتها، وماء حي (1973)، تحفتها الأدبيّة.

مقدمة المترجمة

لا أحد يَقرأ كلاريس دون أن يخُضّه ما يقرأ

لا، هي ليست رواية، على الأقل، بالمعنى التقليديّ للكلمة. كانت الرواية الواقعيّة تعبيرًا منطقيًّا عن الثقافة التي نشأت خلال القرن الثامن عشر، ثمّ امتدّت إلى القرن التالي وما بعده، قبل أن تنحسر هذه المنطقيّة في ثقافة النصف الثاني من القرن العشرين. في خضمّ هذه الأجواء ظهرت كلاريس ليسبكتور، ولعلّها السبّاقة إلى تدمير الأسلوب التقليديّ في الأدب البرازيليّ، تاركةً بصمةً متميّزة، كواحدةٍ من أرقى الكتّاب في عصرها؛ تنتمي إلى المرحلة الثالثة من الحداثة البرازيليّة (المعروفة أيضًا باسم «جيل الـ 45»)، والذي اتّسم بالاهتمام الشديد بالكلمة وبالشكل، بينما أخذ يستكشف مواضيعَ بشريّةً بشكلٍ أساسيّ. ليسبكتور فرَضَت نفسها في مطلع الثمانينيّات من القرن العشرين، فصارت صوتًا إنسانيًّا مميّزًا ما زال يدوّي حتى اليوم.

ولكنّها رواية، كما صنّفتها وأرادتها كاتبتها، والرواية تأتي هنا بمعنى تدفّق الكلمة. ماء حيّ كتابٌ يتحدّى

نماذج العناصر السرديّة من حيث الزمن والحبكة والشخصيّات، إنّه سردٌ مشحونٌ بغنائيّةٍ شعريّة تحتضن في طيّاتها جماليّةً نثريّة. فهذه «القصيدة النثريّة الكثيفة» عبارةٌ عن سردٍ روائيٍّ يحمل صفة المونولوج أو المناجاة، صدر قبل وفاة كاتبته بسنواتٍ قليلة. في هذا الكتاب، تحمل كلاريس ليسبكتور التمرُّد الشكليّ للرواية إلى أقصى حدوده، إذ تخلق نوعًا كتابيًّا جديدًا، يتّسم بالسيولة، ويبدو لأوّل وهلةٍ مجزّأً، غير مكتمل، أو مفتقرًا للتنظيم، ناتجًا عن حرّيّةٍ إبداعيّةٍ كبيرة.

لقد خضع هذا النصّ الذي نُشر في 1973، إلى عدّة تعديلات، قامت بها الكاتبة على مدى ثلاثة أعوام، قبل أن ترضى بنشره، ورافق التعديل تغييرٌ مماثلٌ للعنوان، بدءًا بـ: ما وراء الفكر: مونولوج مع الحياة، الذي استبدل لاحقًا بـ الشيء، ثمّ بـ الشيء الصارخ قبل أن يرسو على: ماء حيّ، في حلّةٍ مكثّفة. من الحريّ بالذكر أنّ **Água Viva**، الذي يعني حرفيًّا (ماء حيّ)، هو أيضًا اسمٌ مركّب يُطلق على قنديل البحر، حيوان بحريّ رخو من اللاسعات، من أقدم الحيوانات الموجودة على الأرض، يوجد منذ مئات ملايين السنين، ممّا يجعله أيضًا من أقدم

الكائنات. ولسوف يستوعب القارئ بعد غوصه في عوالم النصّ، أنّ انتقاء هذا العنوان متعدّد الدلالات لم يكن صدفة.

بطلة كلاريس لسبكتور في ماء حيّ كاتبةٌ ورسّامةٌ تنطلق من عزلتها في تأمّلاتٍ لا نهاية لها حول: الوقت، الحياة، الأحلام، الكائنات، الشجاعة، الخوف، والموت ـ وقبل كلّ شيءٍ حول فنّ الخلق والكتابة، ومعرفة كيفيّة استخدام الكلمات في لعبة الأصوات والصّمت، ثمّ توظيف تلك الكلمات بطريقةٍ مشابهة للرسم بالألوان. هذه الشخصيّة ـ الراوية تبحث عن لقائها الذاتيّ، وهو أمرٌ ممكنٌ فقط من خلال الكتابة التي تقارنها بالرسم، فيختلط الفنّان ومعهما اللّوحة والنصّ. وهكذا، تعبّر الشخصيّة ـ الراوية عن أحاسيسها ومشاعرها وانعكاساتها، وما إلى ذلك، من خلال الصوَر، في محاولةٍ منها لخلق شيءٍ مشابهٍ لما تخلقه بالألوان.

إذن، نحن أمام «أنا» الراوي، أو الصوت السرديّ الذي يخاطب «أنتَ» ـ مخاطَب غير محدّد ممّا يدفع القارئ للتخمين أنّ النصّ هو عبارةٌ عن رسالةٍ طويلة تكتبها الرسّامة ـ الكاتبة إلى حبيبها السابق، إذ يبدو أنّهما انفصلا منذ وقتٍ قصير. وهناك «هو»

الذي يرمز إلى المذكّر (إلى أحدهم)، و«هي» إلى المؤنّث (إلى إحداهنّ)، بالإضافة إلى «it»، الضمير الذي استعارته كلاريس من اللّغة الإنجليزيّة للتعبير عن «اللّاشخصيّ»، أيْ إلى ما لا يملك طابع الشخص، أو لا يقابله في أيّ مجال، وأيضًا عن الجوهريّ، الجزء الرخو والبدائيّ من كلّ كائنٍ حيّ.

في السرد، ثمّة بحثٌ عن العلاقة بين الجسد والفكر واللّغة، لذلك يبتعد هذا العمل عن النمط الواقعيّ، لكنّه يخطّ نهجًا غير متوقّع للمشاعر الإنسانيّة. المثير للاهتمام حول ماء حيّ هو عدم وجود موضوعٍ مركزيّ، كما أنّ السرد غير خطّي. اللّغة رشيقة وقويّة، وتتألّف من صُورٍ متعدّدةٍ للتديُّن والوحدة والموت والولادة... وهكذا، فإنّ العنوان يحيلنا مباشرةً هنا إلى الماء، بما يمثّله من حركةٍ مستمرّةٍ بفعل التيار المتدفّق.

ماء حيّ كتاب لحظاتٍ أيضًا، يمكن عزل كلّ لحظةٍ في لوحة، بما يحوّل النصّ إلى سلسلةٍ من اللّوحات المرتّبة حول موضوعٍ واحد: لحظة الحياة. سجلٌ عضويّ من الأحاسيس غير المتوقّعة، التي تعكس الحالة الذهنيّة للشّخصيّة ـ الراوية، في مواجهة ذكرياتها، خيالها والأحداث اليوميّة، ثمّ تجد نفسها

في حالةٍ جديدةٍ وغريبة، حيث تتوالى تدفّقات الفكر، التي تأتي وتذهب مع بدء الأيام ونهايتها، فتدخل ـ وتُدخلنا ـ في أكوانٍ تُوازي بعضها بعضًا في حركةٍ منتظمة.

تتّصف ليسبكتور بأسلوبٍ خاصّ في الكتابة، باستخدامها الكلمات بطريقةٍ غير نمطيّة، عدا عن انتقائها لمواردَ دلاليّةٍ ولفظيّةٍ مميّزة، والاستعمال غير التقليديّ لعلامات الترقيم، سواء أكان ذلك في اللّغة البرتغاليّة أو ما يعادلها في العربيّة، ممّا يجعل النص حالةً فريدة من نوعها في الأدب وفي عمليّة تنظيم الكتابة. أمّا بطلة الرواية التي تخوض تجربة التعبير الكتابيّ من منظورٍ أدبيّ، فترشقنا في كلّ صفحةٍ بعددٍ من التساؤلات التي تدفعنا بدورنا لطرح السؤال الملحّ: من تحاور هذه الكاتبة ـ الرسّامة في منتصف اللّيل؟ حبيبها السابق من خلال هذا الكتاب ـ الرسالة، أم القارئ؟ أو لعلّه السرد الناتج عن الرّسم بالكلمات من دون أيّ تخطيطٍ مسبق، أو إنّه فعل الكتابة، أو تخاطب ذاتها، بصفتها تولد مع ولادة النصّ؟ مهما كان الجواب الذي سيصل إليه القارئ، فنحن هنا أمام عمليّة كتابةٍ لا مناص من وجودها، فقد تكون تلك الطريقة الوحيدة للقبض على «اللحظة

ـ الآن»، وهكذا يتحوّل الكاتب الى أداةٍ لخلق العالم، أو لخلق عالمٍ من العوالم والكائنات كما يشتهي، لا وفقًا لمنهجٍ وُضع من قبل آخرين ليقلّده الجميع.

في ترجمة هذه «القصيدة ـ الرواية» التي تحاكي الكتابة والرسم والنحت والموسيقى والصوت والإيماءة، والحقيقة والخيال، والحياة والموت، والمتحرّك والجماد، والإله، واجهنا تحدّياتٍ عديدةً، قرّرنا التعامل معها بتتبُّع خطى الكاتبة من حيث الابتكار اللُّغويّ والأدبيّ، من أجل منح القارئ العربيّ نصًّا قادرًا على التعبير ـ ولو جزئيًّا ـ عن الغرابة الجميلة والآسرة لكتابة ليسبكتور، التي تصدم القارئ بحداثة فكرها وأسلوبها. أمّا بعد، فتجدر الإشارة إلى أنّ النصّ العربيّ من حيث الشكل، قد اختار، على سبيل المثال، أن ينقل، قدر الإمكان، الترقيم كما أرادته الكاتبة؛ فهو جزءٌ مهمّ من النصّ، خاصّةً في استخدام النقطتين (:) والشَّرطة (-). كما وقرّرنا إدراج بعض المصطلحات المتعلّقة بالموسيقى الكلاسيكيّة أو بفنّ الرَّسم، كما وردت في النصّ بالبرتغاليّة، أي في لفظها الأصليّ بالإيطاليّة، ولكن بالأحرف العربيّة كما في (آريا، أداجيو، كونترالتو، كانتابيلي،

فوغا، لارغو، فريسكو..إلخ). نلفت النظر أيضًا، إلى تكرار بعض الجمل والمقاطع القصيرة في مواقعَ مختلفةٍ من النصّ، وهذا ليس سهوًا، بل قصدًا، كما أرادته الكاتبة وكما هو في الأصل، عدا عن شحنها للكلمات بطاقةٍ إضافيّة، والمغامرة في ابتكار ألفاظٍ جديدة، علاوةً على استخدام أسماء كائناتٍ خياليّة مثل فون، لنصف إنسان ولنصف معزة.

وأخيرًا وليس آخرًا، نرجو أن يستمتع القارئ بهذه الرحلة الروحيّة المؤلّفة من شظايا أحلام وآلام ورؤى ويوميّات تيه في الدنيا، رسمتها كِناياتٌ واستعاراتٌ مدهشة، حملت في حروفها وحركاتِها سجعًا وبديعًا، قوافيَ وموسيقى.

د. صفاء جبران

بفرحٍ عميق. مثل هلّلويا. هلّلويا، أصرخُ، وتندمجُ الهلّلويا بأدكن عواءٍ بشريّ صادرٍ عن آلام الانفصال، ولكنّها صرخة فرحٍ شيطانيّ. لا أحد يستطيع أن يكبحَني الآن. ما زال بإمكاني التّفكير منطقيًّا ـ لقد درست الرياضيات، وهي جنون المنطق ـ أمّا الآن فأريد البلازما، أريد أن أتغذّى مباشرةً من المَشيمة. أشعر بشيءٍ من الخوف: الخوف من الاستسلام، تمامًا لأنّ اللحظة التالية هي المجهول. هل أنا من أصنع اللحظةَ التالية أم هي تصنع نفسها؟ نحن نصنعُها معًا، بتنفّسنا وبرشاقة مُصارع الثيران في الحلبة.

أقول لك: إنّي أحاول الاستيلاء على البُعد الرابع لهذه اللحظة ـ الآن، التي لسرعة تبخُّرها لم تَعُد موجودة ـ بحيث أصبحت لحظةً جديدة والتي لم تَعُد موجودةً أيضًا. لكلّ شيءٍ لحظةٌ فيها يكون. أريد أن أتمسّك بما يكونُه الشيء. تلك اللحظات التي تتدفّق في الهواء الذي أتنفّسه: مثل ألعابٍ ناريّة تتفجّر خرساءَ في الفضاء. أريدُ امتلاك ذرّات الزمان. وأريد التقاط الحاضر الذي بطبيعته هو محظورٌ عليّ: الحاضرُ يهرب منّي، والراهن يفرّ منّي، والراهن هو أنا الدائمة في الآن. فقط في فعل الحبّ ـ عند

تجريد المشاعر الشبيه بجمرةٍ شفّافة ـ يمكن التقاط اللحظة المجهولة، البرهة الصلبة البلّوريّة، المرتجفة في الفضاء، والحياة هي هذه اللحظة التي لا يمكن سردها، فهي أكبر من الحَدَث بعينه: عند الحبّ تضيء جوهرة اللحظة المبهمة في الهواء، سناءُ جسدٍ غريبٍ، مادةٌ محسّسة بقشعريرة اللحظات ـ ويكون الشعور في الوقت عنْه غيرَ مادّيّ وموضوعيّ، فيبدو وكأنّه يحدث خارج الجسد، يبرق عاليًا؛ والفرح، الفرح هو مادة الوقت وجوهر اللحظة. وفي اللحظة تكون اللحظة ذاتها. أريد أن ألتقط كَياني وأن أملأ الفضاء بالهللويا مثل عصفور، ولن يخصّ غنائي أحدًا، ولكنْ لا عشق يعاني من الوجع والولع لا تتبعه هللويا.

هل موضوعي هو اللحظة؟ موضوع حياتي. أحاول مواكبة ذلك، أُقسّم نفسي آلاف المرّات إلى عدّة مرّات بعددِ اللحظات الناجمة، مجزّأةٌ أنا، وهشّةٌ هي اللحظات ـ عهدي الوحيد هو مع الحياة التي تولد مع الوقت والتي تنمو معه: فقط في الزمان، ثمة مكانٌ لي.

أكتب لك بكلّي وأشعر بطعمِ أن أكونَ، أمّا طعمُكَ فهو مجرّدٌ مثل اللحظة. أنا أيضًا أستخدم جسدي بأكمله عندما أرسم، فعلى القماش أثبّت ما هو

معنويّ، أنا جسدٌ يصارع جسدًا. إنّ الموسيقى لا تُفهم، بل تُسمع، لذا إسمعني بكامل جسدك. عندما تأتي لتقرأ ما أكتبه سوف تسأل لماذا لا أقتصر على الرّسم وعلى استعراض لوحاتي بما أنّي أكتب بفلاظةٍ وبتشتُّت. أشعر فجأةً بحاجةٍ للكلمات ـ وما أكتبه جديدٌ عليّ، لأنّ كلمتي الحقيقيّة لم تُلمس حتى الآن. الكلمة هي بُعدي الرابع.

إنتهيت اليوم من اللّوحة التي أخبرتك عنها. الحبائات تتداخل في خطوطٍ سوداء رفيعة، وأنتَ، كالعادة، ترغب بمعرفة السّبب ـ ولكن السّبب لا يهمّني، فهو مادةٌ ماضية ـ سوف تسألني لِمَ الخطوط السّوداء الرّفيعة؟ السّبب هو نفسه، السرّ الذي يجعلني أكتب الآن وكأنّني أكتب لكَ، أكتب شيئًا كرويًّا، متشابكًا ودافئًا، ولكنّه في بعض الأحيان باردٌ كاللّحظات الطازجة، مياهُ تيّارٍ تترقرق وحدها. هل يمكن وضع ما رسمته على هذه اللّوحة في كلمات، بالقَدْر عينه الذي يمكن للكلمة الصامتة أن تكون مشمولةً في صوتٍ موسيقيّ؟

يبدو أنّني لم أخبرك يومًا كيف أستمع إلى الموسيقى ـ أدعُ يدي تستريح بلطفٍ على الفونوغراف، فتهتزّ باعثةً التذبذبات عبر جسدي كلّه: وهكذا أكون

أستمع إلى كهرباء الدندنة، الرّكازة الأخيرة في عالم الواقع، بينما يرتجّ العالم تحت يديّ.

وهكذا، أدرك أنّني أرغب لنفسي بالرّكازة المرتجّة المتكرّرة في الترنيم الغريغوريّ، أُدرك أنّني لا أستطيع قول كلّ ما أعرفه، إلّا بالرّسم أو بالنطق بمقاطعَ لا معنى لها. وإن كان لا بدّ هنا من استخدام الكلمات، فعليها أن تحمل معنى جسمانيًا تقريبًا، فما زلت أصارع الارتعاش الأخير. ولكي أُخبرك عن ركيزتي، ألّفتُ جملةً من كلماتٍ مركّبة من اللحظة ـ الآن، فاقرأْ إذن ابتداعي للدندنة الخالصة، الخالية من أيّ معنى عدا عن الموجود في مقطعها الصوتيّ، اقرأْ ما يلي: «مع مرور الزمن، فقدتُ سرَّ مصرَ، عندما سِرتُ على خطوط الطول وخطوط العرض والارتفاعات، بفعل نشيط من الإلكترونات، البروتونات والنيوترونات تحت روعة الكلمة وظلّها». إنَّ ما كتبته لكَ الآن هو رسمٌ إلكترونيّ من دون ماضٍ أو مستقبل. إنّه، ببساطة: الآن.

ويجب عليَّ أيضًا أن أكتب لك، لأنّك تحصدُ حقلك المزروع بالكلمات الخطابيّة ولمس بجهارة لوحاتي. أعرف أنّ جُملي بسيطة، ولكنّي أكتب بحبٍّ كبير لها، وهذا الحبّ يعوّض عن تقصيرها،

ولكنّ الإفراط في الحبّ يعيق العمل. هذا ليس كتابًا، لأنّ الكتابة لا تكون على هذا النحو. هل ما أكتبه هو ذروةٌ وحيدة؟ إنّ أيّامي ذروةٌ وحيدة: أعيش على الشفير.

في الكتابة، لا أستطيع صناعة شيءٍ كما في الرّسم، عندما أعدّ لونًا من عدّة ألوان. ولكنّني أحاول أن أكتب لك بكامل جسدي، أطلق سهمًا سوف يغرز في النقطة الطريّة والعصبيّة للكلمة. جسدي المتخفّي يقول لك: دينوصورات، إكتيوصورات وبلسيوصورات، بمعناها الصوتيّ لا غير، ولكنْ هذا لا يعني أنّها جافّةٌ مثل القشّ، بل بالعكس هي لدنة. أنا لا أرسم أفكارًا، أرسم الـ «دومًا»، مستحيل التحقيق، أو الـ «أبدًا» وهما متعادلان. قبل كلّ شيء، أنا أرسم الرّسم. وقبل كلّ شيء، أكتب لك كتابةً صعبة. أريد أن أمسك الكلمة بيدي، هل الكلمة شيء؟ ومن اللحظات أستخرج عصارة الثمرة. عليّ أن أعزلَ نفسي من أجل الوصول إلى لبّ الحياة ونُواتها. اللحظة هي النواة الحيّة.

التناغم الخفيّ للتنافر: لا أريد شيئًا مؤلّفًا، بل شيئًا ما زال يُؤلّف ويموّج. كلماتي غير المتوازنة هي أبهة صمتي. أكتب بحركاتٍ بهلوانيّة في الهواء - أكتب

لأنّني أرغب بأن أتكلّم بعمق، بيْدَ أنّ الكتابة تهبني قدرًا وافيًا من الصمت.

وإنْ قلتُ «أنا»، فلأنّني لا أجرؤ على قول «أنتَ» أو «نحن» أو «أحدهم». إنّي مُجبرةٌ على التواضع في تشخيص نفسي بالتقليل من شأن نفسي، ولكنّي ما تكونه أنت.

أجَل، أريد الكلمة الأخيرة التي هي أيضًا الأولى بحيث إنّها تتشابك بالجزء الذي لا يُنال من الواقع. ما زلت أخشى الابتعاد عن المنطق، لأنّني أتعثّر فيما هو غريزيّ ومباشر، وفي المستقبل: ابتداع اليوم هو سبيلي الوحيد لاستهلال المستقبل. ثمّ وأنّه قد صار المستقبل، فأيّ ساعةٍ هي الساعة المعيّنة، فما الضرر إذًا من الابتعاد عن المنطق؟ إنّي أتعامل مع المادة الخام. أبحث عن الكامن ما وراء الفكر. لا فائدة من محاولة تصنيفي: أنا ببساطة أتفلّت، ولن يلتقطني أيّ صنف. إنّي في حالةٍ جديدةٍ وحقيقيّةٍ جدًّا، تستعجب من نفسها ، جذّابةً جدًّا وذاتيّةً لدرجة أنّني لا أستطيع رسمها أو كتابتها، شبيهةً باللحظات التي قضيتُها معكَ، عندما كنت أحبُّكَ، لحظاتٍ لم أستطعْ تخطّيها لأنّني غصتُ في أعماقها، وهي حالةُ مَن لمسَ الطاقةَ المحيطة؛ إنّي أرتعد. نوعٌ من

الجنون، جنون التناغم. أعلم أنّ نظرتي يجب أن تكون نظرةَ شخصٍ بدائيٍّ يستسلم للعالم كليًّا، بدائيٍّ مثل الآلهة التي لا تُقرّ سوى بالخير وبالشرّ، ولا تريد أن تتعرّف على الخير المتعقّد كالشّعر في الشرّ، ولا على الشرّ الذي هو الخَير.

أُثبّتُ لحظاتٍ مباغتةً تحملُ موتَها في جوفها، بينما تولد لحظاتٌ أخرى ـ أثبّتُ لحظاتِ التحوُّل الخارقة الجمال في تسلسلها وتلازمها.

تُصْبِحُ، والفجر ضبابٌ أبيض على رمال الشاطئ. كلُّ شيءٍ مِلكي إذن. بالكاد ألمس الطعام، لا أريد أن أستفيق أكثر من استفاقة النهار. سأسمو مع اليوم الذي يسمو قائلًا فيّ أملًا غامضًا ويُجبرني على النظر مباشرةً إلى وجه الشمس القاسية. تهبّ الريح وتبعثر أوراقي. أسمع هذه الريح الصارخة، حشرجةَ طائرٍ في طيران مائل. وأنا هنا أفرض على نفسي قسوةَ لغةٍ متوتّرةٍ، أفرض عليها عريَ هيكلٍ عظميٍّ خالٍ من الأخلاط. ولكنّ الهيكل العظميّ خالٍ من الحياة، أمّا أنا، فبينما أعيش أرتعِش بكلّي. لن أتوصّل إلى العريّ النهائيّ، وما زلت لا أريده، على ما يبدو.

هذه هي الحياة كما تراها الحياة. قد أكون مفتقرةً للمعنى، ولكنّه افتقار المعنى ذاته الموجود في وريدٍ

ينبض.

أريد أن أكتبَ لك مثل شخصٍ يتعلّم. أتصوّر كلَّ لحظة. أُعمّقُ الكلمات وكأنّني أرسم ظلّ الشيء، قبل الشيء. لا أريد أن أسأل لماذا، فمن المُمكن دائمًا أن تسأل لماذا وألّا تحصل على إجابة أبدًا ـ هل يمكنني الاستسلام للصمت المتوقّع الذي يتبع سؤالًا من دون إجابة؟ على الرُّغم من ظنّي أنّ ثمّة جوابًا عظيمًا موجودًا لي في مكانٍ ما، في زمانٍ ما.

عندئذٍ سأعرف كيف أرسم وأكتب، بعد الجواب الغريب والحميم في الوقت نفسه. إستمعْ إليّ، إستمعْ إلى الصمت. إنّ ما أقوله ليس أبدًا ما أقوله لك، بل شيئًا آخر. إلتقط هذا الشيء الذي يهرب منّي ومع ذلك أعيش منه وأنا أعوم فوق ظلامه الساطع. لحظةٌ واحدة تقودني بخَدَرٍ إلى التالية، والموضوع الذي لا موضوع له يبدأ بالظهور من دون تخطيط، ولكنّه هندسيّ مثل الأشكال المتتالية في المِشكال.

أدخل رويدًا إلى هِبتي لنفسي. روعةٌ يمزّقها غناءٌ أخيرٌ يبدو كالأول. أدخل الكتابة بتمهُّلٍ كما دخلت الرّسم من قبل. إنّه عالم متداخل كالنباتات المعترشة، مقاطع، كرمة، ألوان وكلمات ـ عتبة مغارة الأجداد التي هي رحم العالم ومنها سوف أولد.

وإن كنت أحيانًا أرسم مغاراتٍ فلأنّها غوصي في الأرض المُظلمة، ولكنّها محاطةٌ بهالاتٍ ساطعة، وأنا، دمّ الطبيعة ـ مغارات منقوشة وخطرة، طلسم الأرض، حيث تلتقي صواعدُ ومتحجراتٌ وصخورٍ وحيث تأوي الحيوانات المفتونة بطبيعتها الخبيثة. المغارات جحيمي. مغارةٌ حالمة دومًا بضبابها، أتذكُّرٌ أم حسن؟ غريبة، عجيبة، باطنيّة، مخضرّة بوحل الزمان. داخل المغارة المظلمة بصيص فئرانٍ معلّقةٍ بأجنحةٍ صليبيّة الشّكل كالوطاويط. أرى عناكب رغباء سوداء. فئران وجرذان تركض خائفةً على الأرض وعلى الجدران، وبين الحجارة، عقرب. وهناك سرطانات البحر، تمامًا كما هي منذ عصور ما قبل التاريخ، وبعد وفياتٍ وولاداتٍ، سوف تبدو مثل وحوشٍ شنيعة إنْ كانت بحجم رجل. وصراصير مسنّة تزحف في العتمة. وكلّ هذا أنا. كلُّ شيءٍ مثقّل بالأحلام عندما أرسم مغارةً أو أكتب لك عنها ـ من الخارج تأتي جلجلة عشرات الخيول البرّيّة خاتمةً الظلام بحوافرها الجافّة، ومن احتكاك الحوافر، يتحرّر الابتهاج في شرارات: ها نحن، أنا والمغارة، داخل الزمان الذي سيُتلفنا.

أريد أن أعبّر بالكلمات، ولكنْ من دون أن أصِفَ

وجودَ المغارة التي رسمتها منذ زمن - ولا أعرف كيف. فقط بتكرار رعبها الطريف، مغارة من الرعب والعجائب، مقام الأرواح المنكوبة، شتاء وجحيم، رُكازة من الشرّ لا يمكن التنبؤ بها، موجودة داخل أرض ليست خصيبة. أدعو المغارة باسمها، فتبدأ بالعيش مع نتائجها. لذا، أهاب نفسي التي تتقن رسمَ الرعب، أنا، المخلوقة من صدى المغارات، أنا، أختنق لأنّي الكلمة وصداها.

لكن اللحظة - الآن هو اليراعة التي تلمع وتنطفئ. الحاضر هو اللحظة التي فيها تمسُّ عجلةُ سيّارةٍ مُسرعةٍ الأرضَ. والجزء من العجلة الذي لم يمسّها بعد، سوف يمسّها في تلك الفوريّة التي تمتصّ لحظةَ الحاضرِ وتحوّلها إلى ماض. أنا، حيّة وبرّاقة مثل اللحظات، ألمع وأنطفئ، أضيءُ وأُنطفئ، أضيئ وأُنطفئ. كلُّ ما في الأمر أنَّ كلَّ ما أَلتقطهُ في داخلي - بينما يتمّ نقله الآن إلى كتابة - هو خوفي من استغراق الكلمات أكثر من لمحة، أكثر من لحظة، أنا أُريد تدفُّقها.

إنّه عَهدٌ جديد، هذا عَهدي، وهو يعلمني للتوّ. هل أنا شجاعة بما فيه الكفاية؟ في الوقت الراهن، نعم. لأنّي آتيةٌ من معاناةٍ طويلة، آتيةٌ من جحيم الحبّ،

ولكنّي تحرّرت منك. آتيةً من بعيد - من أصل ثقيل. أنا الآتية من ألم الحياة، لم أعد أريده، أريد ارتعاش السعادة، أريد حياة موزارت، لكنّني أريد أيضًا المجازفة. الحرية؟ إنّها ملاذي الأخير. أجبرت نفسي على الحريّة وأتحمّلها لا كموهبة، بل كبطولة: أنا حرّة ببطولة وأريد التدفّق.

ما أكتبه لك ليس مريحًا، فأنا لا أبوح، بل أتمعدن. ليس مريحًا لك ولا لي. كلمتي تنفجر في فضاء اليوم. وما ستعرفه منّي هو ظلّ السهم الذي أصاب هدفه. وعبثًا سأتمسّك بظلٍّ لا يشغل مكانًا في الفضاء، وكل ما يُهمّ هو السهم. إنّي أبني شيئًا خاليًا منك ومنّي، وهذه هي حريّتي المؤدّية إلى الموت.

في اللحظة - الآن هذه، تغمرني رغبة الدهاش متجوّلةً منتشرة وملايين من انعكاسات الشمس على ماءٍ يتدفّق من نبع ماءٍ فوق عشب حديقةٍ ناضجةٍ بالعبير، حديقة وظلال أخترعها، هنا والآن، وسيلةً ماديّةً للكلام في هذه اللحظة من الحياة. إنّ حالي هو حال حديقةٍ تجري فيها المياه. وفي وصفي لها أحاول مزج الكلمات لكي يصنع الزمان نفسه. أمّا قولي هذا فيجب أن يُقرأ بسرعة النظر.

والآن وقد اكتمل النهار، وها هو الأحد مرّة أخرى

في توران غير متوقّع، الأحد يوم الأصداء ـ حارّة، جافّة، مثقلة بأزيز النحل والدبابير وبصياح الطيور وطَرْقٍ متواترٍ وبعيد ـ من أين تأتي أصداء يوم الأحد؟ أنا النافرة من يوم الأحد لأنّه أجوف. أنا الراغبة بالبدائيّ، لأنّه نبع التولُّد ـ أنا التائقة لشرب الماء من الينبوع ـ أنا، كلّ هذا؛ ولكنْ بسبب القَدَر أو جرّاء مصير مأساويّ ما، لا أعرف ولا أجرّب إلّا أصداء نفسي، لأنّي لا أمسك بالـ «نفسي» نفسه. أنا في ترقّبٍ ذاهل، مرتجفٌ، مشدودةٌ، أُدير ظهري للعالم، وفي مكانٍ ما يفرّ السنجاب البريء. نباتات ونباتات. أغفو في حرارة صيفِ الأحدِ المليء بالذباب الحائم حول وعاء السكر. للأحد بهاءٌ ملوّنٌ وروعةٌ ناضجة. ولقد رسمت كلّ هذا منذ زمنٍ وفي يوم أحدٍ آخر. وها هي تلك اللوحة التي كانت عذراء تغطّيها الآن ألوانٌ ناضجة. ذبابٌ أزرق يومض أمام نافذتي المفتوحة على هواء الشارع النعسان. وهذا النهار يبدو كجلد فاكهةٍ، مشدودةٍ وناعمة، والتي بسبب نكسةٍ صغيرةٍ ما تمزّقها الأسنان، فيسيل عصيرها. أخشى الأحد اللّعين الذي يُسيّلني.

من أجل إعادة صوغي وصوغك، أعود إلى حالتي من الحديقة والظلّ، واقع طريّ، حيث بالكاد أُوجَد

وإن وُجدتُ فيكون بحذرٍ لطيف. وحول الظلّ، حَرٌّ وعرقٌ غزير. إنّي على قيد الحياة، لكنّي أشعر بأنّني لم أبلغ حدودي بعد. أيُّ حدود؟ لا حدود لمغامرة الحريّة الخطرة. ولكنّي أخاطر، أنا أعيش بالمخاطرة. مليئةٌ بالسخط، أتمايل بالصفرة، أنا من بدأت للتوّ رحلتي، أفتتحها بإحساسٍ بالمأساة، أخمّن إلى أيّ محيطٍ مجهولٍ تتّجه خطوات حياتي. وبجنونٍ أسيطر على خباياي، يخنقني هذياني من شدّة البهاء . أنا قبلُ، أنا تقريبًا، أنا أبدًا. وهذا كل ما اكتسبته عندما توقّفتُ عن حبّك.

أكتب لك كتصميمٍ قبل الرّسم. أرى الكلمات. ما أقوله هو الحاضر الصافي وهذا الكتاب خطٌّ مستقيمٌ في الفضاء. دائم الحالية، ومقياس ضوء الكاميرا يفتح ويغلق على الفور محتفظًا بالفلاش داخله. حتى لو قلتُ «عشتُ» أو «سأعيش» يكون الحاضر، لأنّني أقولهما الآن.

لقد بدأت هذه الصفحات بهدف الاستعداد للرّسم أيضًا. ولكنّ طعم الكلمات يطغى عليّ الآن، وأكاد أتحرّر من هيمنة الألوان. أشعر بالشهوانيّة لأنّي أخلق ما أقوله لك. إنّي أعيش مراسيم بدء الكلمة وإيماءاتي هيراطيقيّة ومثلّثة.

نعم، هذه هي الحياة كما تراها الحياة. ولكنّي أنسى فجأةً كيفيّة الإمساك بكلّ ما يحدث، لا أعرف كيفيّة الإمساك بكلّ ما هو موجود إلّا من خلال العيش هنا، عيش كلّ ما يحدث وبغضّ النظر عمّا يكون: أكاد أكون حرّةً من أخطائي. أترك الحصان طليقًا يركض ناريًّا. أنا، المهرولة بعصبية، وحده الواقع يضع حدودًا لي.

وعندما يصلُ اليوم إلى نهايته أسمعُ الصراصير وأصير ملأى وغير مفهومة، ثمّ أعيش الصبيحة الزرقاء الحُبلى بالعصافير الصغيرة - هل يا ترى أعطيك الآن فكرةً عمّا يمرّ به المرء في الحياة؟ وكلُّ شيءٍ يخطر ببالي أدوّنه لكيّ أثبّته، لأنّني أريد أن ألمسَ عصب الآن المرتجف والمرتعش، وليقاومْني عصبُ الحياة هذا مثل وريدٍ مضطربٍ، وليلتوِ وليهفُ. وليهطلْ الياقوت والجمشت والزمرّد فوق الشبَقِ القَلِق للحياة الكاملة: لأنّه في ظلمتي يرتجف حجر التوباز الكبير، الكلمة لها ضوء خاصّ بها.

إنّي أسمع موسيقى غابيّة، وكأنّها لا تتعدّى قرع طبولٍ وبعض الإيقاع يصلني من منزلٍ مجاورٍ حيث يعيش حشاشون شبابٌ الحاضرَ. لحظةٌ أخرى من الإيقاع المتواصل، المتلاحق، ثمّ يحدث شيءٌ

فظيع.

سأعبرُ بسبب احتدام الإيقاع - سأعبرُ إلى الجانب الآخر من الحياة، كيف يمكنني أن أصفَ لك؟ إنّه أمرٌ فظيع ويهدّدني. أشعر أنّني لم أعُد أستطيع التوقُّف، وهذا يخيفني. أحاول أن أُشغل نفسي عن الخوف. لكنَّ النَّقرَ الحقيقيّ قد توقّف منذ زمنٍ طويل: إنّي ذلك النّقر المستمرّ في داخلي والذي يجب أن أتحرّرَ منه، لكنّني لا أستطيع: الجانب الآخر منّي يناديني. الخطوات التي أسمعها هي خطواتي.

وكأنّني أقلع جذورَ شجرةٍ عظيمةٍ من أعماق الأرض، هكذا أكتب لك، وكأنَّ الجذور مَجسّاتٌ قويّة مثل أجسادٍ عاريةٍ ضخمة لنساء قويّات متشابكات بالثعابين ورغباتٍ جسديّة لتحقيق ذلك، وكلّ هذا صلاةٌ في قدّاسٍ أسود، ودعوةٌ زاحفة للـ آمين: لأنَّ ما هو سيّئٌ غير محميّ ويقتضي رضا الإله: هذا هو التكوين.

هل يا ترى عبرتُ إلى الجانب الآخر من دون أن أشعر؟ الجانبُ الآخر هو حياةٌ جهنميّة الخفقان. لكنّ هناك تجلّي رهبتي. لذلك أهب نفسي إلى حياةٍ مثقّلةٍ برموزٍ ثقيلةٍ كثمارٍ ناضجة. أختار تشابهاتٍ

خاطئة، ولكنّها تجرّني نحو المتشابك. جزء زهيد من ذاكرة الحسّ السّليم من تاريخي ما زال يحثّني على تحسُّس هذا الجانب. ساعدني، لأنّ شيئًا ما قادم نحوي ويسخر منّي. بسرعة، أنقذني!

لكنْ لا أحد يستطيع مساعدتي على الخروج. يجب أن أستخدم القوّة الكبرى - في الكابوس وباندفاعٍ مفاجئ، أقعُ وأخيرًا على وجهي عند هذا الجانب هنا. أترك نفسي مرمية مرهقة على أرضٍ وعرة، والقلب ينبض بجنون، أغرف الهواء لأتنفس. هل نجوْتُ؟ أمسح جبيني المبتلّ. أنهض ببطء، أسير الخطوات الأولى من تعافٍ واهن. إنّي أحاول التوازن.

لا، هذا كلّه لا يحدث في أحداثٍ واقعيّة، ولكنْ في - في مجال فنّ ما؟ نعم، مهارة ينشأ من خلالها واقع أكثر حساسيّة ليبدأ وجوده في داخلي: حدث التجلّي لي.

لكنّ الجانب الآخر الذي منه بالكاد تفلّتُّ، يصبحُ مقدّسًا وأنا لا أبوح بسرّي لأحد! يبدو لي أنّني في المنام قد عقدت ميثاقَ دمٍ، في الجانب الآخر، لن يعرف أحدٌ بأيّ شيء: كلّ ما أعرفه متطاير، وكأنّه لا يوجد، لذا يبقى بيني وبين نفسي.

هل أنا من الضعفاء؟ ضعيفة مسّها إيقاعٌ متلاحقٌ

ومجنون؟ هل لو كنت صلبةً وقويّةً لما كنت قد استمعت حتى إلى الإيقاع؟ لا أجد جوابًا: أكون. هذا كلّ ما لي من الحياة. لكنْ ما أنا؟ الجواب هو: ما أنا، فقط. على الرّغم من أنّني أصرخ في بعض الأحيان: لم أعد أريد أن أكون أنا!! لكنّني أتمسّك بي، فتتشكّل نسيج الحياة وبطريقةٍ معقّدة.

فلترافقني مَن يرافقني: الرحلة طويلة، شاقّة، ولكنّها تُعاش. إنّني الآن أكلّمك وبجدّيّة، لست أعبثُ بالكلمات. إنّي أتجسّد في العبارات الجامحة وغير المفهومة التي تتداخل وراء الكلمات. صمتٌ يعلو من اصطدام الجُمَل.

لذلك، فإنّ الكتابة هي إستخدام الكلمة كَطُعم. تَصطاد الكلمةُ اللّاكلمةَ. وعندما تلتقط هذه اللّاكلمة - من بين السطور - الطُّعمَ، شيءٌ يكون قد اكتُب. وحين يُصْطاد ما هو بين السطور، يمكن التخلُّص من الكلمة بكلّ راحة. ولكنْ هنا تنتهي المماثلة: حينما تلتقط اللّاكلمة الطعمَ، تندمج به. لذا يكون الخلاص في الكتابة بسهو.

لا أريد التقيُّد الرهيب، تقيُّد أولئك الذين يمشون فقط ممّا يُمكن أن يكون له معنى. هذا ليس أنا: أريد حقيقةً مبْتكَرة.

ماذا أقول لك؟ سأقول لك اللحظات. أبالغ، وعندئذٍ فقط أوُجدُ، وبطريقة محمومة. يا لها من حُمّى: هل سأتمكّن يومًا ما من التوقُّف عن العيش؟ يا لي، أنا من أموت كثيرًا. أتبع المسار الملتوي للجذور التي تفجّر الأرض، لديّ موهبة للشّغف، عندما يحترق جذعٌ يابسٌ أتلوّى كاللّهب. أهِبُ، لمدى وجودي، معنًى خفيًّا يتجاوزني. أنا كائنٌ متزامِن: أجمع فيّ الماضي والحاضر والمستقبل والزمن الذي ينبض في تكتكة الساعات.

في سبيل تأويل ذاتي وإعادة صياغتها، أحتاجُ إلى علاماتٍ جديدةٍ وروابطَ حديثة، في أشكالٍ موجودة خارج قصّتي الإنسانيّة وما وراءها. أحوّل الواقع ومن ثمّ يكوّنني واقعٌ آخر حالمٌ يسير نائمًا. وأتدحرج بكلّي، وفي تدحرجي على الأرض أضيف إلى نفسي مزيدًا من ورق الشجر. أنا، عملٌ مجهول لواقع مجهولٍ لا تبرير له إلّا ما دامت حياتي. وبعد ذلك؟ بعد ذلك، كلّ ما عِشته سيكون فقرًا فائضًا.

مؤقّتًا، أنا وسْط كلّ ما يصرخ ويقفز. وهو رقيق كالواقع غير الملموس. ومؤقّتًا، يكون الوقت - كمْ من الوقت تستغرق الفكرة.

وإنّه في غاية النقاء هذا الاتّصال بنواة الواقع

اللّامرئيّة.

أنا أدرك ما الذي أفعله هنا: إنّي أحكي اللحظات التي تقطُر سميكةً بالدم.

أنا أدرك ما الذي أفعله هنا: إنّي أرتجل. لكنْ ما خطب ذلك؟ أرتجل كما تُرتجلُ الموسيقى في الجاز، ثوران الجاز، الارتجال أمام الجمهور.

إنّه عجيب جدًّا كيف استبدلتُ الألوانَ بهذا الشيء الغريب الذي هو الكلمة. الكلمات - أتحرّك بينها بحذرٍ لأنّها قادرة على التهديد؛ لديّ الحريّة لأكتب التالي: «قاد الحُجّاج والتُّجّار والرُّعاة قوافلهم نحو التِّبتْ والطرق كانت وعرة وبدائيّة». بهذه الجملة، جَعلتُ مشهدًا يرى النور كما هو الحال في فلاش التصوير.

ماذا يقول هذا الجاز المرتجَل؟ يقول إنّ أذرعًا متشابكة بسيقانٍ ولهبانٍ ترتفع وأنا جامدة مثل قطعة لحمٍ يلتهمها منقارُ نسرٍ حاد أوقف طيرانه الأعمى. أعبِّر لي ولك عن رغباتي الأكثر خفية، وأستطيع بالكلمات تحقيقَ جمالٍ مضطربٍ ومهيب. أرتعش من النشوة ونشاط هذا الجديد من استعمال الكلمات التي تشكّل غابةً هائلة. أنا أكافِح من أجل التعمّق في حريّة أحاسيسي وأفكاري، دون أيّ معنى لهمّي:

أنا وحيدة، أنا وحرّيّتي: هذه هي حرّيّتي التي بإمكانها أن تسبّب الحياء لإنسانٍ بدائيّ، لكنّني أعرف أنّكَ لا تستحي من هذا الامتلاء الذي أحقّقه وليس له حدودٌ ملموسة. هذه قدرتي على أن أعيش كلّ ما هو دائريّ وواسع - أُحيط نفسي بالنباتات الآكلة للحوم وبالحيوانات الخرافيّة، وكلّها مستحمّة بضوءٍ مائلٍ خاميّ لجنسٍ أسطوريّ. أمضي بمسار حدسيّ، دون البحث عن فكرة: أنا عضويّة. لا أستنطق نفسي عن دوافعي. أغرق في ما يُماثل الوجعَ الناجِم عن فرحٍ كبيرٍ، ولكي أتزيّن تنبتُ في شعري أوراقٌ وشِعاب.

لا أعرف عمّا أكتب: أنا غامضة حتى لنفسي. في البداية فقط، كان لديّ رؤيةٌ قمريّةٌ صافية، لذلك التقطتُ لذاتي تلك اللحظة قبل أن تموت - وهي تموت على الدوام. هذه ليست رسالة أفكار أُحيلها إليك، ولكنّها نشوةٌ غريزيّة لكلّ ما هو مخفيّ في الطبيعة وأخمّنه. وهذا مهرجان من كلمات. أكتب برموزٍ هي حركات أكثر من أصوات. وهذا كلّه ما اعتدت على رسمه، الخوض في الطبيعة الحميمة للأشياء. أمّا الآن، فقد حان الوقت للكفّ عن الرّسم من أجل إعادة صياغة ذاتي، وإنّي أعيد صياغتي في هذه السطور. لديّ صوت. وبالطريقة ذاتها التي أُطلق

فيها نحو خطِّ رسمٍ، أمارس الحياة من دون تخطيط. لا يملك العالم أيّ نظامٍ مرئيّ، وكلّ ما أملكه هو نظام تنفُّسي. أسمح لنفسي بالحدوث.

أنا داخل أحلام اللّيل العظيمة: لأنَّ الآن ـ الآن هو في اللّيل. وأنا أغنّي مرور الوقت: ما زلتُ ملكة ميداس والفرس، وأنا أيضًا تطوُّري البطيء الذي يُلقي بنفسه مثل جسرٍ متحرِّكٍ في مستقبلٍ، أتنفّس اليوم ضبابه الحلميّ. فالتي هي سرّ الحياة. أتجاور ذاتي متنازلةً عن نفسي وبالتالي أنا العالم: أتبع صوت العالم، أنا ذاتي، فجأةً، وبصوتٍ واحد.

العالم: أسلاك هاتفيّة متشابكة تفشمرّ، ومع ذلك ما زال السطوع معتمًا: هذا أنا في مواجهة العالم.

توازنٌ خطيرٌ توازني، خطَرٌ مميت للروح. تنظر هذه اللّيلة إليّ بخدرٍ وانجار وجبر. أرغبُ، داخل هذه اللّيلة التي هي أطول من الحياة، أرغب، داخل هذه اللّيلة، بحياةٍ نيئة، دمويّةٍ ومليئةٍ باللعاب. أريد الكلمة التالية: رَوْنق. الرَّونق هو الثمرة في عصارتها، ثمرة من دون حزن. أريد أبعادًا. أريد حدسي المرئيّ، لكنّ الشيء الرئيسيّ مخفيٌّ دائمًا. أنا ضمنيّة. وعندما أوضح لنفسي أفقد الحميميّة الندّيّة.

ما لون اللّانهائيّ الفضائيّ؟ لونهُ لونُ الهواء.

نحن ـ في مواجهة فضاحة الموت.

إستمع سطحيًا فقط إلى ما أقوله، فمن الافتقار للمعنى سوف يولد معنى، كما تولد مني حياةٌ عالية وخفيفة. تغلّف غابةُ الكلمات الوعرة بكثافة ما أشعر به وأعيشه، وتحوّل كلّ ما أنا عليه إلى شيءٍ ما يخصُّني ويقع خارجي. الطبيعة آسرة: تأسرني تمامًا وهي حيّةٌ جنسيًا، فقط لا غير: حيّة. أنا أيضًا حيّةٌ وبشراسة ـ ألعقُ خَطمي مثل نمرٍ بعد افتراس غزال.

أكتب لك الآن في اللحظة ذاتها بالضبط. أنا أتحرّك فقط في الحاليّ. أقول اليومَ ـ لا البارحة ولا غدًا ـ بل اليوم في هذه اللحظة القابلة للتلف. إنّ حريّتي الصغيرة والمحاصَرة تضمُّني إلى حريّة العالم. ولكن ما النافذة سوى الهواء مؤطرًا؟ إنّي حيّةٌ بخشونة. أنا ذاهب ـ يقول الموت من دون أن يضيف بأنّه سيأخذني معه. وأنا أرتجف لاهثةً لأنّه يجب أن أرافقه. أنا الموت. وفي كائني هذا بذاته يحدث الموت ـ كيف أشرح لك؟ إنّه موتٌ جِسْديّ. مثل شخص ميّت، أمشي بين العشب العالي وتحت ضوء فضائه الأخضر: أنا ديانا الصيّادة، أفتّش عن الذهب ولا أعثر سوى على أكوامٍ من العظام. أنا أحيا من طبقةٍ مستورةٍ من المشاعر: أنا بالكاد على قيد

الحياة.

ولكنّ أيّام هذا الصيف القويّ واللّعين، تهمِسُ لي بضرورة التخلّي. أتخلّى عن وجود المعنى ومن ثمّ بجناحي الضعف المؤلم والحلو. أشكال مدوّرة ومدوّرة تتقاطع عابرةً الهواء. إنّه حَرّ الصيف. أتنقّل في مرسمي الذي يتحدّى رياحَ صيفٍ مسحور. الأوراق المسحوقة تذكّرني بأرضيّة طفولتي، اليد الخضراء والثديَيْن الذهبيّين ـ هكذا أرسم علامة الشيطان. إنّ أولئك الذين يخافون منّا ومن خيميائنا عزّوا الساحرات والمجوس بحثًا عن العلامة الخفيّة، وغالبًا ما كان يُعثر عليها على الرّغم من أنّها كانت تُعرف فقط من النظرة، لأنّ تلك العلامة لا يجوز وصفها ولا النطق بها، حتى في ظلمة العصور الوسطى. يا أيّتها العصور الوسطى، أنتِ أساسي المعتم، وفي وهج النيران يرقص حاملو العلامة بشكلٍ دائريّ، يمتطون الفروع وأوراق الشجر التي هي الرمز القضيبي للخصوبة: حتى في القداديس البيضاء يُستخدم الدم، وفيها يُشرب.

اِسمعْ: أنا أدَعُكَ تكون فدعْني إذَن أكون.

ولكنّ الأبديّةَ كلمةٌ صعبةٌ جدًّا: تتوسّطها «دال» صخريّة. الخلود: لأنّ كلّ ما هو موجود لم يبدأ أبدًا. رأسي الصغير المحدود للغاية يتقف لمجرّد التّفكير

في شيءٍ لا يبدأ ولا ينتهي ـ لأنّ هكذا هي الأبديّة. لحسن الحظ، هذا الشعور لا يدوم طويلًا لأنّني لا أستطيع تحمُّله، وإن طال فسوف يؤدّي بي إلى الجنون. ويتقف رأسي أيضًا عندما أتخيَّل العكس: بداية شيءٍ ما ـ من أين يبدأ؟ ونهايته ـ ولكنّ ماذا يأتي بعد النهاية؟ كما ترى، يستحيل عليَّ أن أتعمَّق وأن أستحوذ على الحياة، فهي هوائيّة، هي أنفاسي الخفيفة. لكنّني أعرف ما الذي أريده هنا: أريد غير المكتمل. أريد الفوضى العضويّة العميقة والتي مع ذلك توحي بنظامٍ مستتر. مُكنةُ الإمكاناتِ العظيمةُ. جُمَلي الهدرة هذه تتألَّف في اللحظة ذاتها التي تُكتب فيها وهي تطقطق، طازجةً وخضراء. إنّها الآن بعينه. أرغب بتجربة الاختلال في الإنشاء، على الرّغم من أن نصّي هذا يعبره من أوّله إلى آخره خيطٌ ترابطٍ هشّ ـ ما هو؟ الغطس في مادة الكلمة؟ في مادة الشغف؟ خيطٌ شهوانيّ، نفَسٌ يُدفِئُ مسارَ المقاطع. الحياة بالكاد تهرب منّي، مع أنّي أصير أوقِنُ أن الحياة هي شيء آخر، ولها أسلوبٌ خفيّ.

هذا النصّ الذي أهبُه لك لا يجوز النظر إليه عن كثب: إنّه يكسب استدارته الخفيّة ـ غير المرئيّة سابقًا ـ عندما يُشاهَد من طائرةٍ تحلّق عاليًا. حينها يمكن

تخمين لعبة الجُزُر ورؤية القنوات والبحار. إفهمْني: إنّي أكتب لك محاكاةً صوتيّة، تشنُّج اللُّغة. أنا لا أنقل لك قصّةً، ولكنْ مجرَّد كلمات تعيش من الصوت. أقول لك هكذا:

«جذع نضير».

وأنا أستحمّ داخله. وهو مرتبط بالجذر الذي يخترقنا إلى الأرض. كلّ ما أكتبه لك متوتّر. أستخدم كلماتٍ مستقلّة، هي بحدّ ذاتها سهمٌ حرّ: «متوحِّشون، برابرة، نبلاء منحطّون ورجال عصابات». هل يعني هذا لك أيّ شيء؟ إنّه يكلّمني.

ولكن أهمّ جذر في اللُّغة يتألّف من الأحرف الثلاث: ك و ن .

أنا في صميمها.

ما زلت فيها.

في الوسط الحيّ الرخو منها.

ما أزال.

إنّها تتلألأ وإنّها مرنة. مثل مشية النمر الأسود البهيّ الذي شاهدته يسير هادئًا، بطيئًا وخطِرًا. لكنّه ليس محبوسًا، لأنّي لا أريد له ذلك. أمّا فيما يتعلّق بما ليس متوقَّعًا ـ فإنّ العبارة التالية لا يمكن التنبؤ بها.

وفي الصميم حيث أنا، في صميم «كَوَنَ»، لا أسأل، لأنّ الشيء إن كان ـ كان. أنا مقيَّدة فقط بهويّتي. أنا كَيانٌ مرنٌ ومنفصلٌ عن أجسادٍ أخرى.

في الحقيقة، ما زلت لا أرى بوضوح الخيط الذي ذكرته لك. أظنّ أنّني لن أراه أبدًا. ولكنْ أسَلِّمُ بالعتمة حيثُ تلمع عينا النمر الأملس. العتمة هي مَرَقَ الثقافة الخاصّ بي، العتمة المسحورة. إنّي أتابع الحديث معك مخاطِرةً بالفصل: لا يمكن الوصول إلى باطني من خلال معرفتي.

أكتبُ لك لأنّني لا أفهم نفسي.

لكنّي أستمرّ في تتبُّع نفسي. مرنة. لغزٌ عجيبٌ هذه الغابة التي فيها أعيش من أجل أن أكون. ولكنْ أعتقد أنّ الأمور الآن بدأت تسير. أي: سأدخل؛ أعني: في اللغز. أنا نفسي غامضة، وفي صميمها أسبح، أحاديّة الخليّة. في يومٍ من الأيّام، قلت بطفوليّة أنا قادرة على كلّ شيء. كان ذلك رؤية مسبقة تمكّنني يومًا ما من ترك نفسي ومن الهبوط في التخلّي عن أيّ نظام. مرنة. الفرح العظيم: نشوة سريّة. أتقنُ ابتكار الأفكار. أشعر بجلبة الابتداع، ولكنّني أدرك أنّ ما أكتبه هو مجرّد نغمة.

في هذا الصميم، لديّ انطباعٌ غريب بأنّني لا أنتمي

إلى الجنس البشريّ.

هناك الكثير لأقول، ولكنّي لا أعرف كيف أقوله. لا أجد الكلمات. ولكنّي أرفض أن أخترع كلماتٍ جديدة: فالكلمات الموجودة يجب أن تكون قادرةً على قول ما يُمكن قوله وما هو ممنوع. وأنا أخمّن ما هو ممنوع. إذا كانت ثمّة قوّة. ولكنْ لا وجود للكلمات ما وراء الفكر: الكينونة. لا كلمات في لوحاتي: فهي ما وراء الفكر. في هذا المكان حيث الكينونة، أنا نشوةٌ بلّوريّة نقيّة. كينونة، كينونتي، كينونتك.

وأنا مسكونة بأشباحي، بكلّ ما هو أسطوريّ، غرائبيّ وجبّار. الحياة خارقة. وأنا، مُمسكة بمظلّةٍ مفتوحة، أمشي على حبلٍ مشدود. أمشي إلى أقصى حدّ في حلمي الكبير. أرى نبضات أحشائي الفاضحةَ: أحشاء معذّبة تُقودني. لا يُعجبني ما كتبته للتوّ ـ ولكنْ يجب أن أرضى عن المقطع كلّه لأنّه جرى معي. وأنا أُراعي كثيرًا ما أُجريه لنفسي. إنّ جوهري ساهٍ عن ذاته، ولهذا السّبب أطيعه بشكلٍ أعمى.

إنّي مناظرة للنغم الآن. يسرّني التناغم الصعب بين الأضداد الخشنة. إلى أين أنا ذاهبة؟ الجواب: ذاهبة.

وعندما أموت، لن أكون قد ولدتُ وعشتُ: الموت يمحو آثار رغوة البحر على الرمال.

الآنَ هو لحظة.

وإنّه لحظةٌ أخرى، الآن.

وأخرى. إنّ جهدي هو: إحضار المستقبل إلى الآن ـ الآن. أتحرّك داخل غرائزيّ العميقة التي تجري بشكلٍ أعمى. أشعر أنّي أقترب من الينابيع، ومن الأهوار والشلّالات ومن كلّ المياه الغزيرة. وحرّةٌ أنا.

إسمعني، إسمعْ صمتي. إنّ ما أقوله ليس أبدًا ما أقوله، بل شيئًا آخر بدلًا منه. عندما أقول «مياه غزيرة» أقصد قوّةَ جسدٍ في مياه العالم. إلتقطْ هذا الشيء الذي أتحدّثُ فعلًا عنه، لأنّي أنا نفسي لست قادرةً على التقاطه. إقرأْ الطاقة الموجودة في صمتي. أنا أخشى الإله وصمته.

أنا ذاتي.

وهناك أيضًا لغز اللّاشخصيّ، أي الـ «it»: وأنا أملك اللّا شخصيّ داخلي، لا يفسده ولا يتلفه الشخصيّ الذي يغمرني أحيانًا: فأنا أتجفّف تحتَ الشمس، وأصير اللّاشخصيّ بنواةٍ جافّةٍ وقابلةٍ للإنبات. إنّ الشخصيّ الخاصّ بي هو دبال في

التراب المتكوّن من الإنحلال. أمّا الـ «it» الخاص بي فصلبٌ مثل الحصاة.

إنّ البصيرة في داخلي هي الـ «it» الحيّ والرخو، ولديه من الفكر ما لدى المحارة. هل تشعر المحارة بالقلق عندما تُقلع من جذورها؟ إنّها قلقة في حياتها بلا عيون. اعتدتُ تنقيط عَصير الليمون على المحارة الحيّة، وأن أشاهد مرعوبةً ومفتونةً كيف تتلوّى. كنت آكل الـ «it» الحيّ. الـ «it» الحيّ هو الإله.

سأتوقّف قليلًا لأنّني أعرف أنّ الإله هو الكون. هو الموجود. هل أنا أصلّي إلى ما هو موجود؟ أليس خطيرًا الإقتراب ممّا هو موجود؟ الصلاة العميقة هي التأمّل في اللّا شيء. إنّه التواصل الجافّ والقلق مع الذات، الذات اللّاشخصيّة.

أنا لا أحبّ عندما يقطّرون الليمون على أحشائي ويجعلونني أتلوّى بأكملي. هل حقائق الحياة هي الليمون على المحارة؟ هل تنام المحارة؟

ما هو العنصر الأوّل؟ كان لا بدّ من اثنين لوجود الحركة الحميمة السرّيّة التي يتدفّق منها الحليب.

أخبروني أنّ القطّة من بعد الولادة تأكل مشيمتها ولا تتغذّى من شيءٍ آخر طوال أربعة أيام. عندئذٍ فقط تشرب الحليب. دعني أتكلّم بصراحةٍ عن الرضاعة

الطبيعيّة. يتحدّث الناس عن ارتفاع أسعار الحليب. كيف؟ لا داع للتّفسير، لأنّه سوف يتطلّب تفسيرًا آخر. وهذا الأخير قد يتطلّب تفسيرًا آخر أيضًا، ممّا سيؤدّي مرّةً أخرى إلى الغموض. ولكنّي أعرف أشياء ii عن رضاعة الأطفال الطبيعيّة.

إنّي أتنفّس. صعودًا وهبوطًا. صعودًا وهبوطًا. كيف تتنفّس المحارة العارية؟ إذا كانت تتنفّس فأنا لا أراها. أليس موجودًا ما لا أراه؟ إنّ أكثر ما يحرّك مشاعري هو ما لا أستطيع رؤيته، ولكنّه موجود. هكذا يكون لي عند قدميّ عالمٌ مجهولٌ بالكامل ومليءٌ باللّعاب الغنيّ. إنّ الحقيقة موجودة في مكانٍ ما: ولكنْ لا فائدة من التّفكير. لن أكتشفها، ومع ذلك أعيش منها.

ما أكتبه لك لا يظهر بلطف، مرتفعًا ببطءٍ إلى ذروته قبل أن يموت برفق. لا: ما أكتبه لك هو ناريٌّ مثل العيون المستعرة.

ليلةٌ مقمرة. من خلال النافذة، يغطي البدر سريري ويحوّل كلّ شيءٍ إلى أبيض حليبيّ مزرق. وضوء القمر أخرق، يقع على يسار من يدخل. لذا أهرب مغلقةً عينيّ. لأنّ اكتمال القمر هو الأرق الخفيف: تخدّر ونعاس مثل ما بعد الحبّ. وكنت قد قرّرت أن أذهب

إلى النوم حتى أتمكّن من الحلم، كنت متشوّقةً لما سيأتي به الحلم من جديد.

فحلمت بشيء سأحاول أن أستحضره. كنت أشاهد فيلمًا. كان هناك رجلٌ يقلّد نجمًا سينمائيًّا. وكان هناك أشخاص يقلّدون ذلك الرجل في كلّ حركاته. وكان هناك أيضًا إعلانٌ عن مشروبٍ إسمه *ريبينو*. يُمسك الرجل الزجاجة ويرفعها إلى شفتيْه، عندئذٍ يمسك كلّ من الحاضرين زجاجةً ويرفعها إلى شفتيْه. وكان الرجل الذي يقلّد النجم السينمائيّ واقفًا وسطهم يقول: هذا فيلمٌ إعلانيٌّ عن *ريبينو*، والحقيقة أنّ *ريبينو* رديء. ولكنّ هذا ليس كلّ شيء. يعاود الرجل الشربَ فيقوم الجميع بالحركة نفسها: لا مفرّ منها. *ريبينو* كان مؤسّسةً أقوى من الرجل، وكانت النساء في هذه المرحلة يبدين كمضيفات. مضيفاتٍ ناشفات، يحتجن لإضافة الكثير من الماء على مسحوقهنّ لكي يتحوّلن إلى حليب. إنّه فيلم عن أشخاصٍ آليّين يدركون تمامًا ويجدّيّة أنّهم آليّون، وأنّه لا مناص لهم. الإله ليس آليًّا: بالنّسبة له، كلّ لحظة تكون. الإله هو «it».

ثمّة أسئلة كنت أسألها في طفولتي ولم أحصل على جوابٍ أبدًا، ما زال صداها يتردّد كالنحيب:

هل كوّن العالمُ نفسه؟ وإن فعل، أين قام بذلك؟ في أيّ مكان؟ وإن كان من طاقةٍ للّه - فكيف ابتدأ؟ هل جرى كما هي حالي الآن، أكون في الوقت ذاته حينما أُكوّن نفسي؟ إنّ عدم الإجابة هو ما يسبّب الاضطراب لي.

لكن 9 و7 و8 هي أرقامي السرّيّة. أنا مبتدئةٌ بلا مذهب. عطشي للغموض. شغفي هو صميم الأرقام، التي فيها أحدس جوهر مصيرها الجامد والمميت. وأحلم بكمّيّاتٍ ومقاديرَ مترفةٍ تتعمّق في الظلمة: صخب الغزارة، حيث النباتات المخمليّة والآكلة للحوم تكون نحن الذين بالكاد نبتنا، حبٌّ حادّ - إغماءٌ بطيء.

هل يا ترى ما أكتبه لك يكون ما وراء الفكر؟ ليس منطقًا. من كان قادرًا على التوقُّف عن التّفكير - وهذا أمرٌ صعب للغاية - فليرافِقني. ولكنّي على الأقل لا أقلّد نجمًا سينمائيًا، ولن يضطر أحدٌ لرفعي حتى شفتيه، أو ليصبح مضيفةً.

أريد أن أعترف لك بشيء: إنّي خائفة قليلًا، لأنني لا أعرف إلى أين ستقودني حرّيّتي هذه، وهي ليست تعسّفيّة ولا فاحشة، لكنّني طليقة.

من حينٍ لآخر، سأمنحك قصةً خفيفةً: آريا لحنيّة

غنائيّة من أجل تفكيك الرباعيّ الوتريّ هذا. فاصلٌ مجازيّ يفتح مساحةً معشبة داخل غابتي المغذية.

هل أنا حرّة؟ ما زال هناك شيءٌ ما يقيّدني. أم أنّي من تتقيّد به؟ وهناك أيضًا التالي: لست طليقةً تمامًا، لأنّني متّحدة بكلّ شيء، وعلاوة على ذلك، شخصٌ واحد هو كلّ شيء. وليس ثقيلًا حمله لأنّه ببساطة لا يُحمَل، بل يكون، يكون كلّ شيء.

يبدو لي أنّه لأوّل مرّة أكون على علمٍ بالأشياء. لديّ الطباع بأنّني لا أذهب إلى أبعد في اتّجاه الأشياء فقط لكيلا أتجاوزني. أتخوّف من نفسي، فلست جديرةً بالثقة، كما وأنّي لا أثق بقوّتي الزائفة.

هذا كلام من لا يستطيع.

لا أسوس شيئًا. ولا حتى كلماتي، ولكنّ هذا ليس محزنًا، إنّه تواضع مبتهج. أنا من تعيش على الهامش، على يسار من يدخل. والعالم فيّ يرتجف.

هل كلماتي لك مشوّشة؟ ليتها لا تكون، أنا لستُ مشوّشة، أنا مِشكالية. مفتونة بتحوّلاتي المتلألئة التي أسجّلها هنا بشكلٍ متقطّع.

سوف أتوقّف قليلًا الآن كي أتعمّق أكثر، ثمّ أعود.

عدتُ. كنتُ أتوجد. استلمتُ رسالةً من ساو باولو

من شخصٍ لا أعرفه. رسالة انتحار أخيرة. اتّصلتُ بساو باولو. لم يجب أحد، رنّ الهاتف ورنّ وردّد كما لو كان في شقّةٍ صامتة. مات أم لم يمت. هذا الصباح، اتّصلتُ مرّةً أخرى: لا جواب. مات، نعم. لن أنسى أبدًا.

لم أعد خائفة. دعني أتكلّم، هلّا لك؟ لقد وُلدتُ هكذا: منتزعةً من رحم أمّي الحياةَ التي كانت دومًا أبديّة. اِنتظرني، هلّا لك؟ عندما أرسم أو أكتب، أكون مجهولة. في مجهوليّة عميقة لم يلمسها أحدٌ من قبل. لديّ شيءٌ مهمٌّ لأُخبرك به . لست ألاعب: إنّ الـ *it* عنصر صافٍ. مادة اللحظة من الزّمان. لست أُشبّهُ أيّ شيء: إنّي في مرحلةِ ولادةِ الـ *it* الحقيقيّة: أشعر بدوار كمن هو على وشك أن يُولد.

الولادة: سبق لي أن ساعدت مرّةً في ولادة قطّة. يخرج القطّ مغلّفًا بكيس من السوائل، وكلُّ شيء داخله منكمش. تلعق الأمّ الكيسَ مرّاتٍ عديدة إلى أن يتمزّق، فيخرج منه هرّ حرّ تقريبًا، مربوط فقط بالحبل السريّ. عندئذٍ، تمزّق هذه القطة ـ الأمّ ـ الخالقة الحبل بأسنانها فتظهر حقيقة أخرى في العالم. هذه العملية هي الـ *it*. لست أمزح. إنّي

جادّة، لأنّي تحرّرت. إنّي بسيطةٌ جدًّا.

إنّي أمنحكَ الحرّيّة. أوّلًا أمزّق كيسَ السوائل، ثمّ أقطع الحبل السرّيّ. فتعيش بمفردك.

وعندما أُولَدُ أصبحُ حرّةً. هذا هو أساس مأساتي.

لا، ليس سهلًا، ولكنّه «يكون». أكلتُ مشيمتي كي لا أضطرّ للأكل لمدّة أربعة أيام. ليصير عندي حليب لأعطيكه. الحليب هو الـ «هذا». لا أحد هو أنا ولا أحد هو أنت. هذه هي الوحدة.

أنا في انتظار الجملة التالية. إنّها مسألة ثوانٍ. وبما أنّي أتكلّم على التوالي، سأسألك إذا كنت تحتمل أن يكون الزمنُ اليومَ والآنَ وفورًا. أنا أتحمّل ذلك، لأنّي أكلتُ مشيمتي.

استيقظت في الثالثة والنصف صباحًا. وعلى الفور قفزتُ بمرونةٍ من السرير. جئت لأكتبَ لك. أعني: لأكون. إنّها الخامسة والنصف صباحًا الآن، ولا أرغبُ بأيِّ شيء: إنّي نقيّة. لا أتمنّى لك هذه الوحدة. ولكنْ أنا نفسي موجودةٌ في الغموض الخلّاق. ظلامٌ لامع، غباءٌ برّاق.

لا أستطيع أن أقول لك الكثير. لا أريد أن أسرد الحياة. أريد أن أكون «حياة».

أكتب عند تدفّق الكلمات.

قبل ظهور المرآة، لم يكن الشخص يعرف وجهه إلّا منعكسًا على مياه بحيرة. بعد فترةٍ من الزمن، كلّ شخص صار مسؤولًا عن وجهه. سأنظر الآن إلى وجهي. إنّه وجه عارٍ، وعندما أفكّر أنّه لا يوجد له مثيل في العالم، أصابُ بصدمةٍ مبتهجة. ولن يكون له مثيل أبدًا. أبدًا، هو المستحيل. أحبّ الـ أبدًا. أحبّ الـ دومًا أيضًا. ما هو ذلك الموجود بين أبدًا ودومًا، والذي يربطهما بشكلٍ غير مباشر ووثيق؟

في أعماق كلّ شيء توجد الهللويا.

هذه اللحظة، إنّها تكون. أنتَ الذي تقرأني، إنّكَ تكون.

أجد صعوبةً في تصديق أنّي سأموت. لأنّي أفور في نضارةٍ باردة. ستكون حياتي طويلةً لأنّ كلّ لحظة تكون. لديّ انطباع بأنّي على وشك أن أُولَد، ولكنّي لا أستطيع.

أنا قلبٌ ينبض في العالم.

أنت يا من تقرأني، ساعدني لكي أُولَد.

إنتظر: إنّها تُظلِم. تُظلِم أكثر.

أكثر.

اللحظة هي الظلام الدامس.

ما تزال.

إنتظرْ! إنّي ألمح شيئًا ما.

شكل منير. بطنٌ حليبيٌّ وسرّة؟ إنتظر ـ لأنّي سوف أخرج من الظلام، حيث أشعر بالخشية والعتمة والنشوة. أنا قلب الظلمة.

المشكلة أنّ الستارة على نافذتي معطّلة، لا تجري ولا تحجب. لذلك يدخل القمر المتكامل بأكمله، ويُفَسْفِر الغرفة بالصمت: هذا رهيب!

بدأ الظلام بالانحسار الآن.

وُلدتُ.

استراحة.

جلجلة رائعة: أُولدُ.

عيناي مغلقتان. أنا اللاوعي الصافي. لقد قطعوا الحبل السرّيّ. إنّي طليقة في العالم. لا أفكّر، بل أشعر بالـ *it*. أبحث بعينيّن مغلقتيْن بشكلٍ أعمى عن الثدي: أريد حليبًا كثيفًا. لم يعلّمني أحد أن أريد. ولكنّي بالفعل أريد. مستلقيةً، وعيناي مفتوحتان، أنظرُ إلى السقف. لكنْ في الداخل ظلام. أنَا تنبض وتتكوّن. وهناك دوّار الشمس. وهناك سنابل قمح .

وتكوُّن الـ أنا.

إنّي أسمع قوقعة الزمان الجوفاء. هوَ العالم يتكوَّن بصمم. وإن كنت أسمع ذلك فلأنّني موجودةٌ من قبل تكوين الزمان. «أنا أكون» هو العالم. عالم بلا زمان. وعيي الآن خفيف من هواء. وليس للهواء مكانٌ ولا زمان. الهواء هو اللّامكان حيث سوف يوجد كل شيء. إنَّ ما أكتبه هو موسيقى الهواء. تكوين العالم. يقترب، ببطء، ما سيكون. وما سيكون لقد كان. إنَّ المستقبل إلى الأمام، إلى الوراء وإلى الجانبين. المستقبل هو ما قد وُجد وما سوف يوجد دائمًا. حتى لو تمَّ إلغاء الزمان. إنَّ ما أكتبه لك ليس ليُقرأ - بل ليكون. إنَّ أبواق الملائكة - الكائنات تدوِّي في اللّامكان. تولد في الهواء الزّهرة الأولى. يتكوَّن الثرى الذي هو الأرض. وكلّ ما تبقّى هواء. وكلّ ما تبقى نار بطيئة في تحوُّل أزليّ. هل كلمة «أزليّ» غير موجودة لأنَّ الزمان غير موجود؟ ولكنَّ القوقعة موجودة. ووجودي بدأ بالوجود. هل يبدأ الزمان إذن؟

لقد خطر لي فجأةً أنَّ العيش لا يتطلَّب النظام. لا يوجد نموذج يُتبع والنموذج نفسه ليس موجودًا: أُولَد.

ما زلت غير مستعدة للكلام عن «هو» و«هي». إنّي أبيِّن الـ «ذلك». ذلك هو سُنَّة كونيّة. ولادة

وموت. ولادة. موت. ولادة و ـ مثل تنفُّس العالم.

أنا *it* صافٍ كان ينبض بإيقاع. ولكنّي أشعر أنّي قريبًا سوف أكون على إستعداد للحديث عن هو أو هي. إنّي لا أعدك بقصّة. ولكن هناك الـ *it*. وهل يُطاق؟ الـ *it* رخو، وهو محارة وهو مشيمة. لست أمزح لأنّي لست مرادفًا ـ أنا الاسم بحدّ ذاته. هناك خيط من الفولاذ يعبر كلّ هذا الذي أكتبه لك. هناك المستقبل وهو اليوم.

ليلتي الرحبة تتجمع في مرحلة الكُمون الابتدائيّة. تلمس اليد الأرض وتستمع بحرارةٍ إلى قلبٍ ينبض. أرى بزّاقةً عاريةً لها ثديا امرأة: هل هذا كائن بشريّ؟ أحرقها في نيران التفتيش. أملك تصوُّف الظلام في العصور القديمة. وأنا أخرج من تعذيب هؤلاء الضحايا بالعلامة التي لا توصف والتي ترمز إلى الحياة. تحاصرني مخلوقاتٌ بدائيّة، أقزام، جن وعفاريت. أضحّي بالحيوانات لجمع الدم الذي أعوزه لاحتفالات السّحر. من غضبي، أقدّم روحي في سوادها الخاص. يُخيفني القدّاس ـ أنا التي أقوم به. ويسيطر الذهن المكر على المادة. يُظهر الوحش أسنانه، وفي الفضاء البعيد، تركض الخيلة في العوّامات الكرنفاليّة.

في ليلي هذا، أمارس عبادة معنى العالم السريّ. فمٌ ولسان. وحصان طليق، قويٌّ حرّ. أحتفظ بحافره كصنمٍ غراميّ. في ليلي العميق، تهبّ رياح جنونيّة تحمل لي قصاصاتٍ من الصراخ.

أشعر باستشهاد شهوانيٍّ لجوجة. أستيقظ في الفجر مليئةً بالأثمار. مَن سيجمع أثمار حياتي؟ إن لم تكن أنت، وأنا نفسي؟ لماذا تبدو الأشياء لحظةً فقط قبل حدوثها وكأنّها قد حدثت؟ إنّها مسألة تزامن الزمن. ولذا أوجّه تلك الأسئلة، وهناك الأكثر منها، لأنّني أنا سؤال.

وفي ليلي، أشعر بالشرّ الذي يسيطر عليّ. ما يُسمّى بمناظرَ طبيعيّةٍ جميلة لا يسبّب لي سوى التعب. تُعجبني مناظر الأرض المشويّة الجافّة، أشجار ملتوية وجبال صخريّة وضوء أبيض متدلّ. أجل، هناك يكمن الجمال الخفيّ. أعرف أنّك لا تحبّ الفنّ أيضًا. وُلدتُ قاسيةً، بطوليّةً، وحيدةً وعلى قدميّ. ووجدت نقطتي المضادّة في مناظرَ دميمةٍ ومن دون جمال. القباحة رايةُ حربي. أحبّ القباحة بطريقةٍ متكافئة. وأنا أتحدّى الموت. أنا ـ أنا موتي بحدّ ذاته. ولا أحدٌ يذهب أبعد من ذلك. ما يوجد من بربريٍّ داخلي يبحث عنّا هو بربريٌّ ظالمٌ خارجي. أرى في الضوء

وفي الظلام وجوهُ الناس تومض في لهيب النار. أنا شجرةٌ تحترق بسرورٍ شديد. حلاوةٌ واحدة لا غير تمتلكني: التواطؤ مع العالم. أحبّ صليبي، الذي أحمله بألم. هذا أقلّ ما يمكنني أن أصنعه من حياتي: أن أقبل تضحية اللّيل بتعاطف.

الغرابة تمتلكني: لذا أفتح المظلّة السوداء وألقي بنفسي في حفلةٍ راقصة تتلألأ فيها النجوم. العصب الغاضب داخلي يلوبني، حتى وصول اللّيل المتأخّر ليجدني فارغةً من الدم. اللّيل المتأخّر ضخمٌ ويبتلعني. العاصفة تدعوني. أتبعها وأتشظّى. إن لم أدخل اللعبة التي تتبسط فيها، سأفقد حياتي في انتحار أفراد نوعي. أنا أحمي بالنار لعبة حياتي. وعندما لا يعود ممكنًا تحمُّل وجودي ووجود العالم بالمنطق ـ عندئذ أنطلق وأمضي وراء حقيقةٍ كامنة. هل يا ترى سأتعرّف على الحقيقة إذا تمّ إثباتها؟

إنّي أصوغ نفسي. أصوغ نفسي حتى أصل إلى النواة.

أمّا عنّي في الحياة، فأودّ أن أخبرك عن القوّة التي تقودني وتجلب إليّ العالم ذاته، عن الشهوانيّة الحيويّة للهياكل الواضحة وعن المنحنيات المرتبطة عضويًا بأشكالٍ منحنيةٍ أخرى . إنّ كتابتي وطوفاني قويّة،

والحريّة التي تهبّ في الصيف تحمل الفاجعة في ذاتها. إنّ شهوانيّة كلّ ما هو حيّ منثورةٌ في الهواء، في البحر، في النباتات، فينا، منثورةٌ في وطأة صوتي، وأنا أكتب لك بصوتي. وهناك حيويّة جذعٍ متينٍ، وجذورٌ مدفونة في التراب الحيّ الذي يتفاعل واهبًا إيّاها قوتًا عظيمًا. أتنفّس الطاقة ليلًا وكلّ هذا في عالمٍ رائع. رائع: العالم لِلَحظةٍ، هو بالضبط ما يطلبه قلبي. أنا على وشك الموت وبناء مكوّناتٍ جديدة. إنّي لا أعبّر عن نفسي بطريقةٍ جيّدة، ولا أجد الكلمات المناسبة. تمّت تنقية شكلي الداخليّ بعناية. ومع ذلك، ما يربطني بالعالم يملك فظاظةً عارية كالتي في الأحلام الحرّة والحقائق العظيمة. أنا لا أعرف الحظر. وقوّتي تحرّرني، هذه الحياة الكاملة التي تفيض عنّي. لا أخطّط لشيءٍ في عملي البديهيّ للعيش: أتعامل مع غير السويّ وغير المنظّم وغير المخطّط.

الآن عند الفجر، أنا شاحبة لاهثة، بجفّ فمي قبل أن أصل. الطبيعة في غناءٍ جوقيّ وأنا أموت. ماذا الذي تغنّيه الطبيعة؟ الكلمة الأخيرة نفسها التي لم تَعُد أبدًا أنا. سوف تتساقط القرون عليّ. لكنْ في الوقت الراهن، شراسة الجسد والروح التي

تُظهر نفسها في تحرّكٍ ثريٍّ من الكلمات الثقيلة المتعثّرة ببعضها بعضًا - وشيء بريّ - بدائّي وعصبيّ يَخرج من مُستنقعاتي - العشبة الملعونة على مقربةٍ من الاستسلام للإله. كلما كانت أكثر لعنةً تصير أقرب من الإله. توغلّتُ في نفسي والتهمتُ إلى آلّي أريد حياةً دمويّة، وأنّ للمعنى الفميّ شِدّةً لها ضوء. هو الضوء السريّ لحكمة القدريّة: الحجر الأساسيّ للأرض. إنّه للدير حياة، أكثر منه حياة حقيقيّة. وأنا أطرد منها كلّ شيء إلّا المدنّس. ففي عالمي، لم أمنح من حريّة التحرّك إلّا القليل. أنا حرّةٌ فقط لتنفيذ الايماءات المصيريّة. تخضع فوضاي لمبدأ، منه أتعامل بسريّة مع علم الفلك، الرياضيّات، والهندسة الميكانيكيّة. طقسٌ دينيٌّ لأسراب حشراتٍ متنافرة تخرج من مستنقعاتٍ ضبابيّة ووبائيّة. بعوض وضفادع وقمل وذباب وبراغيث وبقّ - جميعها مولودة من وُلوديّةٍ برّقانيّة فاسِدة ورديئة. ويتغذّى جوعي من هذه الكائنات المتعفّنة المتحلّلة. طقوسي هي مُنقّية للقوى. ولكنّ الخبث موجود في الغابة. أبتلع من الدم مِلء فمي، فأمتلئ تمامًا. أسمع صنوجًا وأبواقًا ودفوفًا تعبّئ الهواء بالضوضاء والضجّة. تكتم صمت قرص الشمس ومعجزته. أريد عباءةً منسوجةً بخيوطٍ من ذهَب شمسيّ. الشمس هي التوتّر السحريّ

للصمت. في رحلتي إلى الألغاز أسمع نبتةً آكلة للّحوم ترثي أيّامًا عابرة. تراودني كوابيس فاحشة تحت رياحٍ عليلة. وأصوات فاتنة تسحرني وتغويني وتذهلني، أمّا النقوش المسماريّة المبهمة تقريبًا فتشير إلى طُرُق الحمْل، وتقدّم صيغًا حول التغذية من قوّة الظلام. تُخبِر عن الإناث العاريات الزاحفات. ويسبّب كسوف الشمس رعبًا سرّيًّا يعلن مع ذلك روعة القلب. أضع على شعري إكليلًا برونزيًّا.

ما وراء الفكر ـ وما أبعد منه ـ يوجد السقف الذي كنت أنظر إليه وأنا صغيرة. فجأةً، بدأت أبكي. وأحببتُ ذلك للتوّ. أو أنّي لم أكن أبكي حتى. كنت في حالة ترقّب. أدقّق في السقف. إنّ اللحظة هي بيضةٌ واسعة من أحشاءٍ فاترة.

الآن، إنّه الفجر مرّةً أخرى.

ولكنّ في الصباح، أعتقد أنّنا سنكون متزامنَيْن مع اليوم التالي. فليساعدني الإله. إنّي ضائعة. أحتاجك بشدّة. يجب أن نكون اثنين، لكي تنمو سنابل القمح. إنّي جادّة، لذا سأتوقّف.

لقد وُلدتُ قبل لحظاتٍ قليلة وأنا مشوّشة.

وترن الملوّيّات ويفرّ منها الشرر. القمح ناضج: قسّمَ الخبز. هل قسّمَ بِرقّة؟ من المهمّ معرفة ذلك. أنا

لا أفكّر، كما أنّ الماس لا يفكّر. أنا أتألق صافية. لا أشعر بالجوع ولا بالعطش: أنا أكون. لي عينان مفتوحتان على اللّاشيء. على السقف.

سأصنعُ أداجيو. اقرأ بتأنٍ وبسلام. إنه فريسكو.

هكذا هي الولادة.

يُدير دوّار الشمس وجهه على مهل نحو الشمس. القمح ناضج. يُؤكل الخبز بعذوبة. ويرتبط بعضي ببعض جذور الشجر.

ميلاد: للفقراء صلاة بالسنسكريتيّة. إنّهم لا يطلبون شيئًا: هم فقراء الروح. ميلاد: للأفارقة بشرة سوداءُ داكنة. كثيرون منهم هم أبناء ملكة سبأ والملك سليمان. ولكي أغفو يُغنّي الأفارقة لي، أنا المولودة للتوّ، أهزوجةً بدائيّةً رتيبة تردّد أن، فورَ خروجهم، تأتي الحماة وتأخذ حفنة من الموز.

ولديهم أغنية للحبّ، يؤدونها بطريقةٍ رتيبة أيضًا، أجعلها شكواي الخاصة: لماذا أحبّك إن كنت لا تستجيب؟ عبثًا أرسل لك؛ عندما أحبّك تخفي وجهك عنّي، لماذا أحبّك إذا كنت لا تنتبه لي أصلًا؟ ولديهم أيضًا تهويدة للفيَلة التي تذهب للاستحمام في النهر. أنا إفريقيّة: خيطٌ حزين، عريضٌ وهمجيٌّ في صوتي الذي يغنّي لك. كان البعض

يجلدون السود. ولكنْ كما تفرز البجعة دهنًا يجعلُ جلدها مغلقًا ـ لا يدخل الوجع إلى السود ولا يسبِّب الألم. من الممكن تحويل الألم إلى بهجة ـ «نقرة» واحدة تكفي. بجعة سوداء؟

لكنْ هناك من يموتون من الجوع.. وكلّ ما يمكنني فعله هو أن أُولد. هَذري الدائم: ماذا يمكنني أن أفعل لهم؟ جوابي هو: أرسم لهم فريسكو في أداجيو. كان يمكنني أن أعاني من جوع الآخرين بصمت، ولكنّ صوت كولترا ألتو يجعلني أُغنّي ـ أغنّي ببهوت وبسواد. رسالتي هذه رسالةُ شخصٍ وحيد. شخص يأكل الآخر من شدّة الجوع. ولكنني أطعمتُ نفسي من مشيمتي. ولن أقضم أظافري لأنّ هذا أداجيو هادئ.

توقّفتُ لشرب الماء البارد: الكوب في اللحظة ـ الآن هو من بلّور متعدّد الأوجه وسميك، وآلاف من اللحظات البرّاقة. هل الأشياء هي الوقت الواقف؟

ما زال القمر بدرًا. توقّفت الساعات، وسال رنين جرسٍ أجشّ على الجدار. أريد أن أُدفَن والساعةُ في معصمي لكي ينبض شيءٌ ما تحت الأرض بالوقت، بالزمن، بالزمان.

أنا شاسعة جدًّا. أنا متماسكة: تنهيدٌ عميق. بطيء.

ولكنّه يعلو، وما يزال، وإن إرتفع أكثر فسوف يتحوّل إلى بدرٍ وصمتٍ، وتربةٍ قمريّةٍ وهميّة. يتربّص بالوقت الذي يتوقّف. ما أكتبه لك خطير، سيصير كائنًا صامدًا لا يُمكن إختراقه. والآتي غير متوقّع. ولكيْ أكون بلا جدوى صادقة، أقول إنّ الساعة الآن هي السادسة والربع صباحًا.

المخاطرة - إنّي أجرؤ على اكتشاف أراضٍ جديدة. لم تطأها قدم إنسان قطّ. في البدء، عليّ أن أفتح طريقي بين النبات العَطِر. أُهدِيتُ نبتة مسك الليل وهي الآن على مصطبتي. سأبدأ بصنع عطري الخاص: سأشتري الكحول المناسب وخلاصةً ما مسحوقة، وأهمّ من كلّ شيء المثبّت الذي يجب أن يكون من أصل حيوانيّ بحت. مسك ثقيل. هذا هو الوتر النهائيّ المنخفض من أداجيو. رقمي 9. رقمي 7. رقمي 8. كلّ ما وراء الفكر. إن كان كلّ هذا موجودًا - إذن أنا أكون. ولكنْ لمَ هذا الانزعاج؟ لأنّني لا أعيش بالطريقة الوحيدة التي توجد ليعيش عليها الجميع، والتي لا أعرف حتى ما هي. لست مرتاحة. لست على ما يرام. لا أعرف ما السّبب. لكنّ هناك خطبٌ ما يسبّب لي الانزعاج. ومع ذلك، أنا صريحةٌ وألعب بإنصاف. أضع كلّ أوراقي على الطاولة. أنا

فقط لا أقول وقائع حياتي: أنا بطبيعتي سرّيّة. إذن ما الأمر؟ كلّ ما أعرفه أنّي لا أريد الغش. أرفض. لقد تعمّقت، ولكنّي لا أؤمن بنفسي لأنّ فكري مختلَق.

يمكنني أن أستعدّ لـ «هو» أو لـ «هي» الآن. فلقد وصل الأداجيو إلى نهايته. لذلك أنا أبتدئ. لا أكذب. حقيقتي تتلألأ مثل قلادةٍ في ثريّا بلوريّة.

لكنّها مخفية. إنّي أتحمّل لأنّي قويّة: فقد أكلتُ مشيمتي.

على الرّغم من هشاشة كلّ شيء، أشعر بالضياع الشديد. إنّي أعيش على سرٍّ يسطع في أشعةٍ مضيئةٍ لتحجبني لو لم أغطّها بعباءةٍ ثقيلة من اليقين الكاذب. فليساعدني الإله: لا دليل لي وقد حلّ الظلام من جديد.

هل يجب أن أموت مرّةً أخرى لكي أولد مرّةً أخرى؟ أنا أقبل بهذا.

سأعود إلى الجزء المجهول منّي، وعندما أولد من جديد سوف أتكلّم عن «هو» أو عن «هي». في الوقت الحاضر، إنّ ما يُسندلي هو «ذلك» وهو عبارة عن «it»، أن تخلق من نفسك كائنًا هو أمر جادّ. إنّي أخلق نفسي. والسير في الظلام الدامس بحثًا عن أنفسنا هو ما نفعله. وهو مؤلم. ولكنّها آلام الولادة:

يولد شيء يكون. يكون هو نفسه. وهذا قاسٍ كحجرٍ صلب. لكنّ الصميم هو *it* رخوٌ وحيٌّ، قابلٌ للتلف، محفوفٌ بالمخاطر. حياة من مادة أوليّة.

بما أنّ ليس للإله اسم، سأطلق عليه اسم سيمبتار، اسم لا ينتمي إلى أيّ لغة. وسأطلق على نفسي إسم أمبتالا. وعلى حدّ علمي، لا يوجد هذا الاسم. ربّما في لغةٍ سبقتْ السنسكريتيّة، اللغة الـ *it*. أسمع تكتكة الساعة، عليّ أن أسرع إذن. التكتكة هي *it*.

أعتقد أنّني لن أموت في اللحظة التالية، لأنّ الطبيب الذي فحصني بدقّة قال إنّني في تمام صحّتي. أترى؟ مضت اللحظة ولم أمُت. أريد أن أُدفنَ مباشرةً تحت الأرض ولو داخل تابوت. لا أريد أن يضعوني في دُرجٍ في جدار كما هي الحال في مقبرة *ساو جواو باتيستا* حيث لم يعد هناك مكانٌ في الأرض. لذا اخترعوا تلك الجدران الشيطانيّة، فنصير مثل الملفّات في الخزائن.

الآن هو لحظة. هل تشعر بها؟ أنا أشعر بها.

الهواء هو «it» ولا عطر له، وأحبّ ذلك أيضًا. ولكنّني أحبّ عطر مسك اللّيل، فهو مِسكيٌّ لأنّ حلاوته استسلام للقمر. لقد أكلت مرّةً مربّى مصنوعًا من ورودٍ صغيرةٍ قرمزيّة: طعمه يباركُنا ويصيبُنا في

الوقت ذاته. كيف أعبّر عن الطّعْم بالكلمات؟ الطعمُ واحد والكلمات متعدّدة. أمّا الموسيقى، فإلى أين تذهب بعد أن تُعزف؟ إنّ الشيء الوحيد الملموس في الموسيقى هو الآلة. لي هناك، ما وراء الفكر، خلفيّة موسيقيّة، وما وراءها ينبض القلب. وهذا يعني أنّ الفكرة الأكثر عمقًا هي قلبٌ نابض.

أريد أن أموت حيّة. أقسم أنّني سأموت مستغلّة فقط من اللحظة الأخيرة. ثمّة دعاءٌ عنيفٌ في داخلي سوف يولد، ولكنّي لا أعرف متى. كم أودُّ لو أموت من الصحة، كمن ينفجر. إنّ *Écleter* هو تعبير أفضل: *j'éclate*. إنّه الآن حوار معك، سيصير لاحقًا مناجاةً، ومن ثمّ الصمت. أعلم أنّه سيحدث بعض الترتيب.

تبدأ الفوضى بالاستعداد مرّةً أخرى كما تُضبط الآلات الموسيقيّة قبل الموسيقى الإلكترونيّة. إنّي أرتجل، وجمال ما أرتجله هو فوغا. أشعر في داخلي بخفقان الدُّعاء الذي لم يأتِ بعد. أشعر أنّني سوف أطلب من الحقائق أن تنزلق فوقي من دون أن تبلّلني. أنا مستعدّة لصمتِ الموتِ العظيم. سأذهب للنوم.

نهضتُ. إنّها رصاصة الرحمة. لقد تعبت من الدفاع عن نفسي. إنّي بريئة. وساذجة حتى، لأنّي

أستسلم من دون أيّ ضمانات. لقد وُلدت بالضباط. أنا هادئة تمامًا. أتنفّس بالضباط. ليس لديّ نمطُ حياة. لقد وصلتُ إلى غير الشخصيّ، وهذا أمرٌ صعب للغاية. بعد قليل، سيأمرني الانضباط بتجاوز الحدّ الأقصى. وتجاوز الحدّ الأقصى يعني عيش العنصر الصافي. هناك مَن لا يتحمّلون ذلك: يتأيّقون. لكنّني معتادة على الدّم.

ما أجمل هذه الموسيقى التي أسمعها في أعماقي، وهي مؤلّفة من خطوطٍ هندسيّة تتقاطع في الهواء. موسيقى الحُجرة، موسيقى الحُجرة ليس لها لحن. إنّها طريقة للتعبير عن الصمت. وما أكتبه لك هو كتابة الحُجرة.

وما أحاول كتابته هو طريقتي للنضال. أنا مرتعبة. لماذا كان هناك دينوصوراتٌ على هذه الأرض؟ كيف تنقرض سلالةٌ بأكملها؟

أتحقّق من أنّني أكتب وكأنّني بين النوم واليقظة.

وهنا أنتبه فجأةً أنّني منذ زمنٍ طويل لم أعد أفهم. ألم تَعُد حافة سِكيني حادّة؟ يبدو لي أكثر احتمالًا أنّني لا أفهم، لأنّ ما أراه الآن صعب. أنّي أتواصل خلسةً مع واقع جديد بالنّسبة لي ما يزال بلا أفكار مقابلة، ولا حتى كلمة تدل عليه: إنّه إحساس ما وراء

الفكر.

وهنا يسيطر شرَكٌ عليّ. ما زلتُ ملكةَ مهداس والفرس الظالمة، وأنا أيضًا تطوُّر بطيء يُلقي بنفسه مثل جسرٍ متحرِّكٍ نحو مستقبلٍ، أتنفَّس أنا اليومَ ضبابه الحليبيّ. هالتي هي سرّ حياةٍ. أتجاوز ذاتي متنازلةً عن نفسي، وبالتالي أنا العالم: أتبع صوت العالم وبصوتٍ واحد.

ما أكتبه ليس له بداية: إنَّه استمرار. من كلمات هذه الأنشودة، أنشودتي وأنشودتك، ترتفع هالةٌ تتجاوز العبارات، هل تشعر بها؟ إنَّ تجربتي تأتي من أنّي تمكَّنت من رسم هالة الأشياء. إنَّ الهالة أهمّ من الأشياء ومن الكلمات. الهالة مذهلة. أغرسُ الكلمة في الفراغ المقفر: إنَّها كلمة مثل كتلةٍ متراصَّةٍ رفيعة تلقي ظلًّا. وها هو بوقٌ يبشِّر. الهالة هي الـ *it*.

إنِّي بحاجة لتحسّس مرَّةً أخرى *it* الحيوانات. منذ فترة طويلة لا أتواصل مع الحياة الحيوانيَّة البدائيَّة. أحتاج لدراسة الحيوانات. أريد أن ألتقط الـ *it* لا لكي أرسم نسرًا وحصانًا، بل حصانًا بجناحَيْ نسرٍ كبيرَيْن مفرودَيْن.

أقشعرّ بكلِّي كلَّما لامستُ حيوانًا، أو حتى من مجرَّد النظر إليه. الحيوانات تدهشني. إنَّها الوقت

الذي لا يُحسب. يبدو أنّي أشعر برعبٍ معيّن من ذلك المخلوق الحيّ الذي ليس بشريًّا والذي يملك غرائزي ذاتها، ولكنّها حرّةٌ ومتمرّدة. الحيوان لا يستبدل شيئًا بآخر.

الحيوانات لا تضحك. مع أنّ الكلاب أحيانًا تضحك، فبالإضافة إلى الفم اللّاهث، تكون الابتسامة من العينين، اللتين تبدآن بالتألّق وتصيران أكثر شهوانيّة. بينما يهتز الذيل في ترقّبٍ مرح. لكنّ القططَ لا تضحك أبدًا. ثمّة «هو» من معارفي لم يَعُد يرغب بالتعامل مع القطط. ضاق ذرعًا بها بسبب قطّةٍ كانت لديه، مصابةٍ باهتياجٍ منتظم. فكلّما دخلت دورتها النزويّة تصير غرائزها ملحّة، بعد مواءٍ طويلٍ ومُبكٍ. ترمي نفسها من على السطح، وتسبّب لها الأذى على الأرض.

أتكهرب أحيانًا عندما أرى الحيوانات. إنّي أسمع الآن صرخة الأجداد في داخلي: لم أعُد أعلم من هو المخلوق: الحيوان أم أنا، فأتشوّش، ويبدو أنّي أخاف من مواجهة غرائزَ مخنوقةٍ أضطرّ للاعتراف بها في حضرة الحيوان.

تعرّفت على «هي»، كانت تُؤنسين الحيوانات، تتحدّث معها وتطعمها من ميزانها الخاصّة. أنا لا أقوم

بأسنةِ الحيوانات لأنّها إهانة ـ يجب احترام طبيعتها ـ أنا من أُخَوِّنُ نفسي. وليس أمرًا صعبًا، يحدث ببساطة. يكفي عدم المقاومة والاستسلام.

لا شيء أصعب من الاستسلام للّحظة. وتلك الصعوبة هي الألم البشريّ. هي ألمُنا. وأنا أستسلم بالكلمات وأستسلم عندما أرسم.

إنَّ حبسَ عصفورٍ في كفٍّ شبه مغلقة لشيءٌ فظيع، وكأنَّك تقبض على اللّحظات المرتجفة، يرفرف العصفور الخائف بأجنحته آلاف المرّات متخبّطًا، فيصير في يدك أجنحةً شفّافة تخفق. وفجأةً، لا تستطيع تحمُّل ذلك، فتفتح يدك بسرعة لتطلق السجين الخفيف. أو تُعيده بسرعة إلى مالكه كي يتمكّن من منحه حريّةً نسبيّةً هي القفص. أريد العصافير على أغصان الشجر أو محلّقةً بعيدًا عن يدي. قد أصير يومًا مقرّبةً منها وأستمتع بحضورها الخفيف جدًّا كالبرهة. «أستمتع بحضورها الخفيف جدًّا»، أشعر أنّني كتبت جملةً مفهدة، لأنّي عبّرت تمامًا عن الحدث: استرقاع الطيور.

لم يخطر ببالي أبدًا أن أقتني بومةً، مع أنّي قد رسمتها في لوحات المغارات. ولكنّ «هي» عثرت على صغير بوم في الغابة، في سانتا *تيريزا*. وكان

وحيدًا، محرومًا من أمّه. حملته إلى بيتها، احتضنته وتمتمت له، وفي نهاية المطاف اكتشفَت أنّه يحبّ اللحوم النيئة. كان من المتوقّع أن يَفرّ فورًا عندما يكبر، ولكنّه لم يكن على عجلٍ من أمره في البحث عن مصيره، أي الانضمام إلى آخرين من نوعه المجنون: لقد نما ذلك الطير مولعًا بتلك الشابّة. إلى أن، وبانطلاقة واحدة ـ وكأنّه يتعارك مع نفسه ـ تحرَّر طائرًا إلى أعماق العالم.

لقد شاهدت خيولًا تسرح في المروج، وكان الحصان الأبيض ـ ملك الطبيعة ـ يطلق في الفضاء صهيل العظَمة. كانت علاقتي بتلك الخيول ممتازة. أتذكّر أنّني كنت ألف بشموخٍ مثل الحصان، وأمرِّر يدي على وبره، وعلى عرفه البريّ. كنتُ أشعر هكذا: الامرأة والحصان.

أعرف قصّةً قديمة، ولكنّها تتجدّد الآن ـ الآن. أخبرني «هو» أنّه عاش لوقتٍ قصير مع بعض أفراد عائلته في قريةٍ صغيرةٍ في وادٍ عند جبال *البرانس* المثلّجة العالية. في فصل الشتاء، كانت الذئاب الجائعة تهبط من الجبال إلى القرية باحثةً عن فريسة. وكان السكّان يلتزمون بيوتهم ويأوون في الغرفة الرئيسيّة الأغنام والخيول والأبقار والماعز، ودفء الانسان

ودفء الحيوان، وكلُّهم - متأهّبين لخربشة مخالب الذئاب على الأبواب المغلقة - آذان صاغية. آذان صاغية.

إنّي مكتئبة. إنّه الصباح. وأنا أعلم سرّ الصباحات النقيّة، وأسترخي في الكآبة.

أعرف قصّة وردة. هل يبدو غريبًا لك أن أتكلّم على وردة، بينما أتحدّث عن الحيوانات؟ ولكنّها قامت بشيءٍ معيّن ذكّرني بأسرار الحيوانات. كلّ يومين كنت أشتري وردةً وأضعها في الماء، في مزهريةٍ رفيعةٍ وطويلة مصنوعةٍ خصّيصًا لتأوي ساقَ زهرةٍ واحدة طويلة. وكل يومين كانت الوردة تذبل وأبدّلها بأخرى.. إلى أن كانت تلك الوردة. ورديّة اللّون من دون أيّ تلوينٍ اصطناعيّ أو تطعيم، فقط بلونٍ ورديٍّ طبيعيٍّ ومليءٍ بالحيويّة. كان جمالها يتوسّع في القلب حتى الزوايا. بدت فخورة جدًّا ببضاضة تُوَيْجها وبتلاتها المفتوحة بشموخ والتي جعلتها منتصبةً تقريبًا. ولأنّها لم تكن منتصبةً تمامًا: فقد كانت تنحني بوسامةٍ فوق ساقها الرّفيع القابل للكسر. وهكذا، تطوّرت بيني وبين الوردة علاقةٌ حميمةٌ ومتينة: أُعجبتُ بها ويبدو أنّها أحسّت بذلك الإعجاب. صارت تتألّق بظهورها، وكانت تُراقَب بشغفٍ كبير، فمضت الأيّام من دون

أن تذبل: وظلّ تُويْجها مفتوحًا، منتفخًا، ونضيرًا كزهرةٍ وُلدت للتوّ. واستمرّت مليئةً بالجمال وبالحياة لمدّة أسبوعٍ كامل. عندئذٍ فقط، بدأت تظهر عليها بعض علامات التعب. ثمّ ماتت. تردّدتُ في استبدالها ولم أنسها أبدًا. ثمّ حدث شيءٌ غريب! فقد سألتني خادمتي يومًا، هكذا من دون أيّة مقدّمات: «وماذا عن تلك الوردة؟». لم أسألها عن أيّة وردةٍ تتكلّم. كنتُ أعلم. إنّ الامرأة تذكّرت تلك الوردة التي عاشت على الحبّ الذي وُهب إليها طويلًا، لأنّها لاحظتْ كيف كنتُ أنظر إليها وأبثّ فيها موجات طاقتي. فقد حدستُ من دون ريب أنّ شيئًا ما قد حدثَ بيني وبين الوردة - التي رغبتُ كثيرًا بأن أُطلق عليها إسم «جوهرة الحياة»، لأنّي غالبًا ما أعطي للأشياء أسماء - والتي كان لديْها الكثير من الغريزة الطبيعيّة لدرجة أنّنا، هي وأنا، كنّا قادرتيْن على العيش بعمقٍ معًا مثلما يجري بين الحيوان والإنسان فقط.

لأنّي لم أولد حيوانًا هو حنيني السريّ. أحيانًا تناديني أجيالٌ عديدة من بعيد، ولكنّي لا يمكنني الردّ إلّا بشعوري بالقلق. إنّه النداء.

هذا الهواء الطلق، هذه الريح التي تجتاح روح وجهي ولتركها مضطربة في محاكاةٍ لنشوةٍ شجيّةٍ في

تجدُّدٍ مستمرّ، ثانيةً ودومًا. في كلّ مرّة، أغطس في شيءٍ لا قاع له، ولا أنفكّ أسقط وأسقط حتى أموت، وأحصل في النهاية على الصمت. يا ريح الخماسين، لن أسامحكِ على الموت. أنتِ الحاملة إليّ ذكرى معطوبةً لأشياءَ عشناها.. ويا لي! إنّها تتكرّر دومًا ولو في أشكالٍ أخرى ومختلفة. إنّ الشيء الذي مضى يخيفني كما يخيفني المستقبل. وهذا، مثل كل ماضٍ، غير ملموس، مجرّد افتراض.

في هذه اللحظة، أنا فراغ أبيض بانتظار اللحظة التالية. قياس الوقت ليس إلّا فرضيّة العمل. ولكنْ كلّ ما هو موجود قابلٌ للتلف، وهذا يُجبرنا على قياس الوقت الثابت والدائم. لم يبدأ ولن ينتهي أبدًا. أبدًا.

وصلني أنّ «هي» ماتت على سريرها، ولكنّها كانت تصرخ: إنّني أنطفئ! - إلى أن كانت رحمة الغيبوبة، ففيها تحرّرتْ من الجسد ولم تَعُد تخشى الموت.

ولكي أكتب لك، أنتظرُ قبل ذلك بأكملي.

أنا أعرفك بكلّ جوانبكَ لأنّي عِشتكَ بكلّ جوانبك. إنّ الحياة فيّ عميقة. يجدني الفجرُ شاحبةً، لأنّي أكون قد عشت ليلة الأحلام العميقة. على الرّغم من أنّني في بعض الأحيان أطفو على مياهٍ تبدو ضحلة، ولكنّها تخفي تحتها أعماقًا داكنة الزرقة، قريبة من

السواد. لهذا السّبب أكتب لك. من أجل نفحة الطحالب الثخينة، وفي منبع الحبّ الطريّ.

سوف أموت: ثمّة توتّرٌ مثل قوسٍ أوشك على إطلاق السهم. يخطر لي برج القوس: نصف رجل ونصف حيوان. النصف البشريّ يحمل بصلابةٍ كلاسيكيّة القوسَ والسهم: يمكن للقوس أن يُطلَق في أيّة لحظة وأن يصيبَ الهدف. أعلم أنّني سوف أصيب الهدف.

سأكتب الآن تحت رحمة يدي. لن أعدّل أيّ شيء ممّا تكتبه. إنّها الطريقة التي لا تسمح بحدوث أيّ تباعدٍ بين اللحظة وبيني. إنّي أتحرّك في صميم اللحظة ذاتها. ولكنْ دائمًا يحدث بعض التأخير. يبدأ الأمر هكذا: كما يعوّق الحبُ الموتَ، ولا أعرف ماذا أعني بهذا. أثق في عدم فهمي لنفسي الذي يمنحني حياةً خاليةً من الفهم، لقد فقدت أصدقاءً لي، لا أفهم الموت. الواجب الفظيع هو الذهاب إلى النهاية، من دون الاعتماد على أحد. أن تعيش حياتك بنفسك. ولكي أعاني أقل، أجعلني حسّاسةً أقل، لأنّني لم أستطع تحمّل أحزان العالم. ماذا يمكنني أن أفعل عندما أشعر تمامًا بمن هم الأشخاص وبما يشعرون؟ أنا أعيشهم، ولكنّي لم أعد

أملك القوّة. لا أريد أن أبوح ببعض الأشياء ولا حتى لنفسي. لأنّه سيكون خيانةً لكون الذات. أشعر أنّني أعرف بعض الحقائق وأترقّبها. ولكنْ ليس للحقائق كلمات. حقائق أم حقيقة؟ لن أتكلّم على الإله. وهو سرّيّ الخاص. إنّه يومٌ مشمس. الشاطئ حافلٌ برياحٍ طيّبة وبالحريّة. وكنت بمفردي، دون الحاجة لأحد. إنّه صعب، لأنّني أشاركك بما أشعر. البحر الهادئ. مترصّدٌ ومشكّك. وكأنّ ليس من الممكن لذلك الهدوء أن يدوم. هناك دائمًا ما هو على وشك الحدوث. إنّ ما يسحرني هو غير المتوقّع، التلقائيّ والقدريّ. لقد بدأت التواصل بقوّةٍ معك لدرجة أنّني توقّفت عن الوجود بينما ما أزال موجودة. أصبحتَ أنا. من الصعب جدًّا الكلام وقول ما لا يُمكن قوله. إنّه صامتٌ لدرجةٍ كبيرة. كيف نُترجم صمت اللقاء الحقيقيّ بيني وبينك؟ من الصّعب شرحه: حدّقت بك لبضع لحظات. لحظات كتلك، هي سرّيّ. عندئذٍ، حدث ما يُسمّى بالتواصل الكامل، وأسمّيه أنا بحالةٍ حادّةٍ من السعادة. إنّي صافية الذهن للغاية، ويبدو أنّني أوشك على الوصول إلى مستوى أعلى من الإنسانيّة - أو من غير الإنسانيّة - الـ it .

ما أقوم به عن طريق الغريزة اللّاإراديّة لا يُمكن

وصفه.

ما الذي أفعله في الكتابة لك؟ أحاول تصوير العطر. أكتب لك جالسةً بجانب نافذةٍ مفتوحةٍ في مَرسمي.

أكتب لك هذه النسخة لكتاب. كتاب من لا يُتقن الكتابة. وهذا لأنّه في أخفّ مجال الكلام الأكثر خفّةً، لا أعرف كيف أتكلّم تقريبًا، خاصّةً عندما أتكلّم إليك من خلال الكتابة، أنا من اعتادت أن تكون الجمهور، ولو شاردة الذهن عن صوتي. عندما أرسم أحترم المواد التي أستخدمها، أحترم مصيرها البدائيّ. لذا، عندما أكتب لك أحترم المقاطع.

لحظةً جديدة أرى فيها ما هو قادم. تبدّد أنّه عند الحديث عن لحظة الرؤية يلزم أن أكون أكثر خطابيّةً من اللحظة: سوف تمرّ لحظاتٌ عديدة قبل أن أتمكّن من بسط واستنفاد تعقيد اللمحة، الشديد والسريع.

إنّي أكتب لك على وسع أنفاسي. هل سأكون مُبهمةً كما في لوحاتي، لأنّه يبدو أنّ على المرء أن يكون واضحًا بشكلٍ رهيب. هل أنا واضحة؟ لا يهمّني حقًّا. الآن سأشعل سيجارة. ربّما أعود إلى الآلة الكاتبة أو ربّما أتوقّف هنا للأبد. أنا، من ليست لائقة أبدًا.

عدتُ. إنّي أفكّر بالسلاحف. لقد قلت مرّةً بحدسٍ صافٍ، إنَّ السلحفاة حيوانٌ ديناصوريّ. في وقتٍ لاحقٍ، قرأت أنّها حقًّا كذلك. غريبٌ ما يخطر ببالي! سوف أرسم سلاحفَ يومًا ما. إنّها تثير إهتمامي كثيرًا، جميع الكائنات الحيّة، باستثناء الإنسان، هي مفاجأة مدهشة: عندما جُبلنا، تبقّى الكثير من المواد الخامّ - it - ومنها جُبلت الحيوانات الأخرى. لماذا السلحفاة؟ ربّما عنوانٌ ما أكتبه يجب أن يكون من هذا القبيل تقريبًا وعلى شكل سؤال؟ «ماذا عن السلاحف؟» أنت من تقرأني سوف تقول: صحيح أنّي لا أفكّر بالسلاحف منذ وقتٍ طويل.

فجأةً، أشعر بالأسى لدرجة أنّني أستطيع أن أقول كفى، وأُنهي ما أكتبه لك، وهو أشبه بكلماتٍ عمياء. حتى بالنّسبة لغير المؤمنين ثمّة لحظة يأس تكون إلهيّة: غياب الإله هو فعلٌ دينيّ. في هذه اللحظة بالذات، أطلب من الإله أن يساعدني. إنّي بحاجةٍ، بحاجةٍ إلى أكثر من القوّة البشريّة. أنا قويّة، ولكنّي أيضًا مدمِّرة. يجب على الإله أن يأتي إليّ بما أنّني لم أذهب إليه. دع الإله يأتي: أرجوك. مع أنّي لا أستحقّ ذلك. فليأتِ. لعلّ من هم أقلّ استحقاقًا له هم الذين في أمسّ الحاجة إليه. أنا قلقة وقاسية

وقانطة. مع أنّ الحبّ موجودٌ في داخلي. ولكنّي لا أعرف كيف أستخدمه. إنّه يخدشني أحيانًا كشظايا الخشب. إن كان لديّ الكثير من الحبّ في داخلي ومع ذلك ما أزال قلقة، فهذا يعني أنّني بحاجة إلى مجيء الإله. إلى مجيئه قبل فوات الأوان. أنا في خطر مثل كلّ شخصٍ يعيش. والشيء الوحيد الذي ينتظرني هو بالضبط غير المنتظر. لكنّني أعلم أنّني سأعيش بسلامٍ قبل الموت، وأنّني يومًا ما سأتذوّق نعومة الحياة. سألاحظ ذلك ـ كما نأكل وكما نعيش طعم الطعام. صوتي يسقط في هاوية صمتك. وأنت تقرأني بصمت. ولكنْ في هذا الحقل الصامت بلا نهاية، أفرد جناحيّ، طليقةً لأعيش. لذا، أتقبّل الأسوأ وأدخل صميم الموت، ومن أجل ذلك أنا حيّة. الصميم الحسّاس. وأرتعش بـ *it*.

سأتكلّم الآن على وجع الزهور لكي أشعر أكثر بنظام كلّ ما هو موجود. ولكنْ قبل أن أفعل ذلك، سأعطيك الرحيق بسرور، هذا العصير الحلو الموجود في العديد من الزهور، والذي تسعى اليه الحشرات بجشع. المدقة، وهي العضو التناسليّ الأنثويّ في الزهرة، تحتلّ عادة الوسط وتحتوي على بدايات البذرة. أمّا اللّقاح، فهو مسحوق الإخصاب المنتج

في المئبر، داخل السداة وهي العضو التناسليّ الذكريّ في الزهرة، وتتألّف من خيوط ومن الجزء السُّفلي من المئبر الذي يكيّس المدقة. التلقيح هو اتّحاد بين عنصرين تناسليّين - ذكري وأنثويّ - والذي ينتج عنه الثمر المخصّب. «أَقَامَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي شَرْقِيِّ عَدْنٍ وَوَضَعَ فِيهَا آدَمَ الذِي جَبَلَهُ». (سفر التكوين، 2 ـ 8).

أريد أن أرسم وردة.

الوردة هي الزهرة المؤنّثة التي تهب نفسها كليًّا، فلا يبقى لها إلّا فرح أنّها وهبت نفسها. عطرها لغزٌ مجنون. عندما تُشَمُّ بعمق، تمسّ أعماق القلب الحميمة وتعطّر داخل الجسد كلّه. وإنّ الطريقة التي تتفتّح فيها على إمرأةٍ فهي جميلة للغاية. للبتلات طعمٌ طيّبٌ جدًّا ـ فما عليك إلّا أن تتذوّقه. ولكنّ الوردة ليست *it*، بل إنّها هي. للورود القرمزيّة شهوانيّة كبيرة. البيضاء سلام الإله. من النادر العثور على البيضاء عند الباعة. الصفراء تصرخ منذرةً بالفرح. الزهريّة غالبًا ما تكون لحميّة ولها اللّون بامتياز، أمّا البرتقاليّة فتنتج عن طريق التطعيم وهي جذّابة جنسيًّا.

إنتبهْ جيّدًا سأقدّم لك معروفًا. إنّني أدعوك للانتقال إلى مملكةٍ جديدة.

أمّا القرنفل، فيملك عدوانيّة ناتجة عن تهيّج ما. أطراف بتلاته متنضّنة ومقلوبة. وعطر القرنفل بنحوٍ ما مُميت. القرنفل الأحمر يجهر بجمالٍ عنيف. الأبيض يذكّر بتابوت طفل صغير: وهنا تصبح الرائحة لاذعة، فنبعد رؤوسنا فزعين. كيف تكون عمليّة نقل القرنفل إلى القماش؟

دوّار الشمس هو ابن الشمس العظيم، لذلك يُتقن كيفيّة تحويل تُوَيْجِه الهائل نحو خالقه، لا يهمّ إذا كان الأب أو الأم. لا أعلم! أتساءل إذا كان دوّار الشمس زهرة أنثويّة أو ذكريّة؟ أعتقد أنّها ذكريّة.

البنفسجة انطوائيّة وتأمّلها عميق. يقولون إنّها تختبئ لأنّها متواضعة. لا، ليس كذلك. إنّها تتوارى لكي تتمكّن من التقاط سرّها الخاص. أن لا - يكون - لها - عطر - تقريبًا عبارة عن بهاءٍ مخنوق، يتطلّب منّا أن نسمى إليه. إنّها لا تصرخ عطرها. وتقول البنفسجة أشياءَ خفيفة، لا تُقال.

زهرة الأبديّة دائمة الموت. جفافها يميل إلى الأبديّة. معنى اسمها في اليونانيّة: شمس من ذهب. الأقحوانة زهرةٌ صغيرةٌ وسعيدة، بسيطةٌ ووجدانيّة، لها طبقةٌ واحدةٌ من البتلات. ووسطها لعبةُ أطفال.

زهرة الأوركيد الجميلة غريبة وتُعبر ودّيّة. ليست

عفويّة. تحتاج إلى قبّةٍ زجاجيّة. ولكنّها امرأةٌ رائعة، وهذا لا يُمكن إنكاره. كما لا يُمكن إنكار أنّها نبيلة لأنّها طفيليّة. النباتات الطفيليّة تنمو على أطراف نباتاتٍ أخرى من دون أن تستمدّ غذاءها منها. لم أكن صادقة بقولي بأنّها غير وديّة. أعشق زهرة الأوركيد. تُولَد اصطناعيّةً، تُولَد فنًّا.

التوليب هي توليب فقط في هولندا. فتوليب واحدة ببساطة لا تكون. هذه الزهور تحتاج لحقل شاسع لكي تكون.

زهرة القمح لا تنبتُ إلّا بين السنابل. رغم تواضعها تجرؤ على الظهور بمختلف الألوان والأشكال. زهور توراتيّة. في مغارات المهد في إسبانيا لا يفصلونها عن سنابل القمح. إنّها قلبٌ صغيرٌ ينبض.

لكنّ زهرة الملاك خطرة. لها عطر الكنائس، تثير النشوة. إنّها تذكّر بالبرشانة. يرغب الكثيرون في أكلها وملء أفواههم بالرائحة المقدّسة الشديدة.

الياسمين للعشاق. يخطر لي هنا أن أضع ثلاث نقاط. يسيرون الكفّ بالكفّ، والذراعان أرجوحة. يتبادلون القُبل اللطيفة على صوت الياسمين العاطر.

عصفور الجنّة مذكّر صرف. لديه عدائيّة الحبّ وكبرياء راضية. وكأنّه يملك عرف الديك وصياحه. إلّا

أنّه لا ينتظر الفجر. يا لعنف جمالك!

لمسك الليل عطر البذور. شبحيٌّ مخيفٌ بعض الشيء ويناسب من يهوى المحذور. لا يظهر إلّا ليلًا بعطره المدوِّخ. مسك الليل صامت. يترعرع في زاوية شارعٍ مهجورٍ مظلم، وفي حدائق منازل أضواؤها مطفأة وشبابيكها مغلقة. خطير جدًّا: إنّه صفير في العتمة لا أحد يحتمله، ولكنّي أحتمله لأنّي أحبّ كلّ ما هو خطير. أمّا بالنّسبة لزهرة الصبّار العُصاريّة، فهي كبيرة، عطرة وساطعة. إنّه التقام العصارة الذي يجعل هذا النبات صحراويًّا. هو الروعة المولودة من العقم الاستبداديّ.

لا مزاج عندي الآن لأتكلّم على قدم الأسد، فهي لا توجد إلّا على ارتفاع ثلاثة آلاف وأربعمائة متر، بيضاء وصوفيّة. نادرًا ما يُمكن الوصول إليها: هي المَرام.

إبرة الراعي، زهرة الأحواض على النوافذ. توجد في ساو باولو، في منطقة غراجاوو، وفي سويسرا.

زنابق الماء العملاقة موجودة في الحديقة النباتيّة في ريو دي جانيرو. هائلة وقُطرها يصل إلى مترين. يُستمات من أجلها. أماريليّة: هي ديناصور الزهور. تبثّ الهدوء الكبير. مهيبة وبسيطة في آن واحد.

وعلى الرّغم من انتشارها على سطح الماء، فهي قادرة على توفير الظل. ما أكتبه لك الآن هو باللّغة اللّاتينيّة: *de natura florum*. سأطلِعك لاحقًا على دراستي التي تحوّلت بالفعل إلى تصميمٍ خطّيّ.

يملك الأقحوان فرحًا عميقًا. يتكلّم بلونه وشعره المبعثر. إنّها الزهرة التي تسيطر على وحشيتها بطريقةٍ مبعثرة.

أعتقد أنّي سوف أطلب الإذن لكي أموت. لكنّي لا أستطيع، لقد فات الأوان. سمعت «طائر النار»، وعرفت تمامًا.

سأتوقّف عن الكلام الآن لأنّ ـ ألم أقلْ لك؟ ألم أقلْ إنّ شيئًا سيحدث لي يومًا ما؟ حسنًا، لقد حدث لي الآن. رجل يدعى جواو كلّمني عبر الهاتف. نشأ في أعماق الأمازون. أخبرني أنّ هناك لديهم أسطورةً عن نبتةٍ تنطق، تُدعى تاجا. ويُقال إنّ السكّان الأصليّين سحروها بطريقةٍ طقوسيّة، لذلك تنطق أحيانًا بكلمة أو بأخرى. جواو أخبرني شيئًا لا تفسير له: عاد مرّةً إلى المنزل في وقتٍ متأخّرٍ وهو يسير في الممرّ حيث كانت النبتة، سمع كلمة «جواو». فظنّ أنّ أمّه تناديه لذلك أجاب: «إنّي قادم». صعد إلى الطابق العلويّ فوجد والدته ووالده يشخران بعمق.

أشعر بالتعب. ولعبي يزورني كثيرًا لأنّي شخصٌ مشغولٌ للغاية: أنا أراقب العالم. كلَّ يومٍ أنظر من شرفتي إلى مساحةٍ يظهر فيها الشاطئ وأشاهد الزبد الكثيف، ناصع البياض، وأدرك أنَّ المياه تقدّمت خلال اللّيل إلى الأمام قلقة. أعرف ذلك من العلامة التي يتركها الموج على الرمال. أنظر إلى أشجار اللّوز في الشارع حيث أسكن. وقبل الذهاب إلى النوم، أراقب العالم، وأتفحّص سماء اللّيل لأرى إذا كانت مرصّعةً بالنجوم، وإن كان لونها أزرق كحليًّا. لأنّه في بعض الليالي بدلًا من السواد تظهر السماء بأزرقَ كحليٍّ شديد. لون سبق أن رسمته على الزجاج الملوّن. أحب الشدّة. أراقب الطفل وعمره تسع سنوات يرتدي خِرقًا فوق جِلْدٍ وعظم. سيصاب بالسلّ، هذا إن لم يكن قد أصيب بعد. عندما أكون في الحديقة النباتيّة، أشعر بالإرهاق ـ لأن، بنظري، أراقب آلاف النباتات والأشجار وخاصّةً زنبقة الماء العملاقة. هي موجودة هناك، وأنا أراقبها.

لاحظْ أنّني لا أذكر انطباعاتي العاطفيّة: إنّي أتكلّم بجلاء على بعضٍ من آلاف الأشياء والناس الذين أراقبهم. كما أنّها ليست وظيفة لأنّي لا أكسب أيّ مالٍ منها. بهذا أتعرّف فقط على العالم: كيف

يكون.

هل هو مجهدٌ الاهتمامُ بالعالم؟ نعم. مثلًا: إنّه يُجبرني على تذكُّر وجه تلك الامرأة المعمِّر، وبالتالي مرعب. امرأة رأيتها في الشارع. يعنيني أعتني ببؤس الناس الذين يعيشون على سفوح الهضاب.

سوف تسألني لماذا أهتمّ بالعالم. لأنّني ولدت وعلى عاتقي هذه المهمّة.

عندما كنت طفلةً اعتنيت بخطٍّ من النمل: تسير النملات بخطٍّ واحد، حاملةً قطعًا صغيرة من ورقة شجرة. هذا لا يمنعها من التواصل مع الأخريات القادمات في الاتّجاه المقابل.. النحلة والنملة ليستا *it*، إنّهما *هما*.

قرأت كتابًا عن النحل. ومنذ ذلك الحين، بدأت بالاهتمام بملكة النحل أكثر من غيرها. هل يطير النحل ويتعامل مع الزهور؟ هل هذا عاديّ؟ أنا تحقّقت من ذلك بنفسي. إنّ تدوين الواضح هو جزء من المهمّة. يتّسع داخلُ كلّ نملةٍ صغيرةٍ لعالمٍ سوف يفلت منّي إن لم أكن حذرة. على سبيل المثال: يتّسع لشعورٍ غريزيٍّ بالنظام، للغةٍ تفوق سرعتها سرعة الصوت، والإحساس بالجنس. الآن، لا أستطيع العثور على نملةٍ واحدة لأراقبها. أعلم أنّه لم تُرتكب

أيٌّ مذبحةٍ وإلّا لكنتُ علمت بالأمر.

إنّ مراقبة بالعالم تتطلّب أيضًا الكثير من الصبر: عليّ أن أنتظر النهار لظهور نملةٍ فيه.

إلّا أنّي لم أعثر على من أبلّغه الأمر. أو ربّما عثرت! بما أنّي أبلّغكَ الآن. سأحدّثك الآن عن ذلك الربيع الذي كان جافًّا. لقد طقطق الراديو بسبب اضطرابه الكهربائيّ، وتقشمرت الملابس كلّما تملّصت من كهرباء الجسد، وأثار المشط الشَّعْرَ المضغط ـ كان ربيعًا عسيرًا. كان منهكًا من الشتاء فتبرعم بكلّ طاقته. وكان الناس ينطلقون من أيّ نقطةٍ إلى البعيد. وكثرت الطرقات كما لم يحدُث من قبل. تكلّمنا قليلًا، أنا وأنت. لا أعرف لماذا كان العالم كلّه غاضبًا وموصّلًا إلكترونيًّا. موصّلًا لِمَ؟ كان الجسد مثقلًا بالنعاس. وعيوننا الكبيرة غير معبّرة مثل عينيْ أعمى مفتوحتيْن على مصراعيْهما. السمكة في الحوض على الشرفة، شربنا عصيرًا في مقهى ذلك الفندق المطلّ على المناظر الطبيعيّة. برفقة الريح، جاءت أحلام الماعز: عند الطاولة المجاورة، يجلس فون وحيدًا. كنّا ننظر إلى كوبيْنا من العصير المثلّج، ونحلم بسكونٍ داخل الزجاج الشفاف. «ماذا قلتِ؟» تسألني. «لم أقل شيئًا». ومرت أيّام وأيّام في ذلك

الخطر وزهور إبرة الراعي كانت قرمزيّة جدًّا. وكانت تكفي لحظةٌ واحدةٌ من المؤالفة لكي نلتقط حشولة الربيع الساكنة في مهبّ الريح: حلم الماعز الجسور، والسمكة فارغة بأكملها وميلنا المفاجئ لسرقة الفاكهة. والفون الآن يقوم بقفزاتٍ الفراديّة. «ماذا؟». «لم أقل شيئًا». لكنّني سمعت أوّل دويٍّ مثل قلبٍ ينبض تحت الأرض. وضعت أذني بهدوء على الأرض وسمعت الصيف يشقّ طريقه وقلبي تحت الأرض - «لا شيء! لم أقل شيئًا» - ولمستُ الوحشيّةَ الصبورة التي كانت الأرض المغلقة تتفتّق بها لتلد، وعلمت ما وزن الحلاوة التي يستخدمها الصيف لإنضاج مئة ألف برتقالة، وكنت أعلم أنّ البرتقال لي. لأنّ هذا ما أردته.

أعتزّ لأنّي أشعر دائمًا بتغيُّر الطقس. هناك شيء ما في الهواء - جسدي ينبّهني أنّ شيئًا جديدًا قادم فأتقشعر كلّي. لا أعرف لِمَ؟ في ذلك الربيع، وصلتني كهدية هذه النبتة المسماة زهرة الربيع. إنّها غامضة لدرجة أنّها تحتوي في سرّها على ما لا يُمكن تفسيره في الطبيعة. إنّها لا تبدو فريدة من نوعها على الإطلاق. ولكنْ في اليوم المحدَّد عندما يحلّ الربيع، تموت أوراقها وتولد أزهار مطبقة تضوع بعطرٍ أنثويّ

وذكوريّ مثير للغاية.

تكون جالسًا على مقربة منها تتأمّلها شاردًا، فجأةً تبدأ بالانفتاح على مهل وبالاستسلام للموسم الجديد تحت الأنظار المشدوهة. إنّه الربيع وقد حلّ.

ولكنْ عندما يأتي الشتاء أُعطي وأُعطي وأعطي. وأُعطّي كثيرًا أيضًا، وأرتّب في صدري الدافئ أعشاشًا للناس. ويُمكن سَماع صوت من يتناول الحساء الساخن. إنّي أعيش الآن أيّامًا مُمطرة: إنّ وقتي للعطاء قد اقترب.

ألا ترى أنّ هذا مثل ولادة طفل؟ مؤلم. الألم هو تفاقُم الحياة. العمليّة مؤلمة. التحوُّل ألمٌ بطيء، بطيء وجيّد. هو تمطٍّ واسعٍ إلى أبعد ما يُمكن للمرء أن يتمطّى. ويصير الدّم ممتنًا. أتنفّس. أتنفّس. الهواء هو *it*. أمّا الهواء مع رياح فيكون هو أو هي. لو كان عليّ أن أجتهد للكتابة لك لحزنتُ كثيرًا. أحيانًا، لا أستطيع تحمُّل قوّة الإلهام. فأرسم بالحماس. ومن الجيّد أنّ الأمور لا تعتمد عليّ.

لقد تكلّمت كثيرًا على الموت، لكنّي سأحدّثك عن نَفَس الحياة. عندما لا يعود الشخص قادرًا على التنفُّس وحده يقومون بإنعاشه من الفم إلى الفم: فمٌ يلتصق بفمٍ آخر ويتنفّس. فيبدأ الآخر بالتنفُّس مرّةً

أخرى. هذا التبادل للأنفاس هو من أجمل الأشياء التي سمعتها عن الحياة. في الحقيقة، إنَّ حلاوة هذا من - الفم - إلى - الفم تُذهلني.

آهٍ، كيف كل شيءٍ ملتبس! ومع ذلك هو جزء من النظام. لا أعرف حتى ما الذي سأكتبه لك في الجملة التالية. نحن لا نقول الحقيقة النهائيّة. فليتقدَّمْ إذن من يعرف الحقيقة وليتكلَّمْ. سنستمع نادمين.

...فجأةً، رأيته وكان رجلًا وسيمًا للغاية ورجوليًّا لدرجة إذ أنّني شعرتُ بفرحة الخلْق. هذا لا يعني أنّني أردته لنفسي كما أنّي لا أريد لنفسي الفتى الذي رأيته يركض خلف كرة، وشعره مثل شعر رئيس الملائكة. أردت فقط أن أنظر.

نظر الرجل إليَّ لبرهة، وابتسم بهدوء: كان يعلم كم هو جميل، وكنت أعلم أنّه يعلم بأنّي لم أكن أريده لنفسي. ابتسمَ لأنّه لم يشعر بأيِّ تهديدٍ على الإطلاق. لأنَّ الكائنات الاستثنائيّة بأيِّ شكلٍ من الأشكال هي عرضةٌ للمخاطر أكثر من الأشخاص العادية. عبرتُ الشارع وركبت سيّارة أجرة. أوقف النسيم الشعرَ في أعلى رقبتي. وكنت سعيدةً جدًّا، فقبعتُ في زاوية السيّارة خائفةً لأنَّ السعادة مؤلمة.

وكان سبب هذا كلّه منظر الرجل الوسيم. وكنتُ ما أزال لا أرغب به لنفسي - إنّي معجبةٌ بالناس القبيحين قليلًا، وفي الوقت نفسه متناغمين، لكنّه بطريقةٍ ما منحني الكثير بتلك الابتسامة التي تعبِّر عن صداقةٍ حميمة يتبادلها ناس يفهمون بعضهم بعضًا. لم أكن أدرك أيّ شيء من هذا من قبل.

شجاعة العيش: إخفاء ما يجب أن يبقى مخفيًّا، ولكنّه يحتاج لمشعٍّ بالسرّ.

أسكتُ.

لأنّي لا أعرف ما هو سرّي. أخبرني سرَّكَ. علّمني ما هو السريّ في كلّ واحدٍ منّا. ليس سرًّا فاضِحًا. ليس إلّا هذا: إنّه سرّ.

وليس له صِيَغ.

أعتقد أنّي سأستأذنك الآن لكي أموت قليلًا - بالإذن، مُمكن؟ لن أتأخّر. شكرًا.

...لا، لم أستطعْ الموت. هل أُنهي هنا هذا «الشيء - الكلمة» بفعلٍ طوعيّ؟ ليس بعد.

إنّي أحوّل الواقع - ما الذي يتفلّت منّي؟ لماذا لا أمدّ يدي وأمسك به؟ لأنّي حلمتُ بالعالم فقط، ولكنّي لم أره يومًا.

ما أكتبه لك هو كولترالتو. إنّه غناء روحانيّ زلجيّ، تؤدّيه جوقة وتنيره شموع مضاءة. إنّي أشعر الآن بالدوار. أنا خائفة قليلًا. إلامَ ستقودني حرّيّتي؟ ما هذا الذي أكتبه لك؟ يجعلني وحيدة. لكنّي أذهب وأصلّي، وحرّيّتي يحكمها النظام ـ لم أعد خائفة. إنّ ما يهديني هو حسّ الاكتشاف. أبعد ممّا هو أبعد من التّفكير.

متابَعةُ نفسي هو ما أفعله حقًّا عندما أكتب لك والآن: إنّي أتبع نفسي من دون أن أعرف إلى أين سيقودني ذلك. أن أتبعَ نفسي هو صعب أحيانًا، لأنّي أتبع شيئًا لم يتعدّ السديم. أحيانًا، ينتهي بي الأمر إلى التخلّي عن ذلك.

أنا خائفةٌ الآن، لأنّي سأخبرك شيئًا. أرجو أن يتبدّد الخوف.

لقد تبدّد. إنّ الأمر كما يلي: التنافر هو متناغم بالنّسبة لي. تتعبني الألحان أحيانًا، وأيضًا ما يُسمّى بالجملة المهيمنة، «*leit-motif*». أرغب في الموسيقى، كما في الكتابة والرّسم، أرغب بخطوطٍ هندسيّة تعبر الفضاء وتشكّل تنافرًا أفهمه. هو محض *it*. ينغمس كياني بأكمله ويثمل. وهذا الذي أقوله لك هو في غاية الأهمّيّة. وأنا أعمل أثناء النوم: لأنّي

حينها أتحرّك داخل اللّغز.

اليوم هو الأحد صباحًا. في هذا الأحد المصنوع من الشمس والمشتري، أنا وحيدةٌ في البيت. انحنيت فجأةً وإلى الأمام وكأنّني أعاني من آلام المخاض - ورأيت أنّ البنت فيَّ تموت. لن أنسى أبدًا هذا الأحد الدامي. سيستغرق الأمر بعض الوقت حتى يشفى الجرح. وها أنا صلبةٌ، صامتةٌ، وصامدة. ومن دون البنت بداخلي. كل الحيوات هي حيوات بطوليّة.

أجهل الكثير عن التكوين. وأنا لا أرغب حتى بمعرفة الكثير. يكفيني أن ينبض قلبي داخل صدري. يكفيني غير الشخصي الحيّ التابع لـ *it* .

في هذه اللّحظة بالذات، أشعر بقلبي ينبض بغير نظام داخل صدري. إنّها مطالبة من قِبله، لأنّني في الجمل السّابقة لم أفكّر إلّا بالسطح. وهكذا ينزع قمر الوجود ليغسلَ ويمحوَ آثار الفكر. البحر يمحو آثار الأمواج على الرمال. يا إلهي، كم أنا سعيدة! ما يفسد السّعادة هو الخوف.

أشعر بالخوف. لكنّ قلبي ينبض. الحبّ الذي يتعذّر تعليله، يجعل ضربات القلب أسرع. الضمان الوحيد هو أنّني وُلدت. أنتَ طريقةٌ لتكونَني، وأنا طريقةٌ لأكونَك: وهذه هي حدود إمكانيّاتي.

أشعر بإحساسٍ للذيذٍ للغاية: ارتخاء حلو، وأنا أكلّمكَ. ولكنْ هناك الانتظار. الانتظار هو أن أكون شرهةً فيما يتعلّق بالمستقبل. قلتَ يومًا إنّك تحبُّني. أتظاهر بالتصديق وأعيش، منذ البارحة حتى اليوم، في حبٍّ بهيج. لكنّ التذكُّر بحنين هو توديع مرّةً أخرى.

عالَمٌ خيالي يُحيط بي ويُكوِّنني. أسمع زقزقةَ عصفورٍ مجنونة وأسحق فراشات بين أصابعي. أنا ثمرة قضمَتْها دودة. وإنّي أنتظر نهاية العالم المنتشة. حشدٌ من الحشرات المتطايرة يُحيط بي، ضوءُ قنديلٍ مضاء أنا. أخترِق مداري من أجل أن أكون. أنا في غيبوبة. أخوض في الفضاء المحيط بي. يا لها من حُمّى: لا أتمكّن من التوقُّف عن العيش. في هذه الغابة الكثيفة من الكلمات التي تلتفّ بثخونة حول كلّ ما أشعر به وأفكّر فيه وأعيشه، وتُحوِّل كلّ شيءٍ أكونه إلى شيءٍ يَخصّني، ومع ذلك يقع خارجي تمامًا. أشاهد نفسي أفكّر. وما أتساءل حوله هو: من ذا الموجود في داخلي وخارج التفكير حتى؟ إنّي أكتب لك كل هذا لأنّه تحدٍّ ينبغي عليّ مواجهته بتواضع. إنّي مسكونةٌ بأشباحي، بكلّ ما هو أسطوريٌّ وعجيب ـ الحياة خارقة للطبيعة. وأنا أمشي على حبل مشدود حتى حافّة حلمي. أحشائي المعذّبة بالحسّيّة

هي دليلي، ثوران النبض. قبل أن أنظّم نفسي، يجب أن أشتّت نفسي داخليًّا. من أجل التجربة الأولى والعابرة لحالة الحرّيّة الأوليّة. حرّيّة ارتكاب الخطأ، السقوط والنهوض مرّةً أخرى.

ولكنْ إذا انتظرتُ لكي أتوصّل إلى الفهم قبل تقبُّل الأشياء ـ فلن يحدث فعل الاستسلام. عليَّ أن أغوص دفعةً واحدةً، غوصًا يتضمّن الفهم وخاصّة عدم الفهم. ومن أنا لأجرؤ على التفكير؟ عليَّ أن أستسلم. كيف؟ كلّ ما أعلمه أنّنا بالمشي فقط نعرف كيف نمشي و ـ يا للمعجزة ـ نمشي.

أنا التي أحيك المستقبل مثل عنكبوتٍ دؤوب. وأفضل شيءٍ أقوم به يكون عندما لا أعلم أيَّ شيءٍ وأصنع أيَّ شيء.

أنتبه، فجأةً، أنّي لا أعلم شيئًا. ألم تعُد حالة سيكمني حادّةً؟ يبدو لي أكثر احتمالًا أنّني لا أفهم، لأنّ ما أراه الآن صعب. إنّي أتواصل خلسةً مع واقعٍ جديد، بالنّسبة لي ما زال من دون أفكار مقابلة ولا حتى كلمة تدل عليه: إنّه إحساس ما وراء الفكر.

كيف أشرح لك ذلك؟ سأحاول. الأمر أنّي أدرك حقيقة مموجّة. مَرئيّة من خلال تقطيعٍ مائل. الآن فقط ألتمّس مَهلان الحياة. كنت سابقًا أرى من

خلال تقطيع مستقيم ومتوازٍ. لم أكن أفهم الخط الملتوي الموارب. أشعر الآن أنّ الحياة هي أخرى. وأنّ العيشَ ليس حلّ المشاعر المعقّدة - إنّه شيء أكثر سحريّة وأناقة، من دون، مع ذلك، فقدان قوّته الحيوانيّة الناعمة. فوق هذه الحياة المائلة بشكلٍ غير عاديّ، وضعت مخلبي الثقيل، لكي ينقرض ما في الوجود من ميلٍ ومن مباغتة، وفي الوقت عينه، مصيري بخفّة. لقد أدركت حتميّة الصدفة وليس في الأمر تناقضًا.

الحياة المائلة حميمة جدًّا. لن أتكلّمَ أكثر على هذه الحميميّة كي لا أجرح التّفكير - الشعور بكلماتٍ جافّة. ولأترك هذا المَيلان في استقلاله غير المقيّد.

وأعرف أيضًا طريقةَ حياةٍ هي أنفة لطيفة، حركاتٌ خفيفة، خيبةٌ طفيفة ومتواصلة، بمهارةٍ في التجنّب، تأتي من طريق طويل وقديم. وكإشارة على التمرّد، سخريّة هشّة وغريبة الأطوار. هناك جانب من الحياة يشبه شرب القهوة على شرفة باردة في الشتاء ومتلفّفة بالصوف.

وأعرف أيضًا طريقة حياةٍ هي ظلّ طفيف يخفق في مهبّ الريح، ويتمايل قليلًا على الأرض: حياةٌ هي

ظلّ عائم، ارتقاءٌ وأحلامٌ في يومٍ منفرج: أعيش ثراء الأرض.

أجل، الحياة شرقيّة جدًّا. اختارت حتميةُ الصدفة عددًا قليلًا جدًّا من الناس ليتذوقوا حرية الحياة المتملّصة والحسّاسة. إنّها مثل الإلمام بتنسيق الزهور في مزهريّة: إلمام لا فائدة منه تقريبًا. لا يجوز أبدًا نسيان تلك الحرية العابرة للحياة: يجب أن تكون حاضرةً كالعطر.

عَيش هذه الحياة هو تذكُّرٌ غير مباشر لها أكثر من كونه عيشًا مباشرًا. شبيه بنقاهةٍ لطيفةٍ من شيءٍ كان يمكن أن يكون رهيبًا جدًّا. نقاهة من متعةٍ باردة. فقط للمبتدئين، تصبح الحياة إذن صادقة بهشاشة. وفي اللحظة ـ الآن: تؤكل الفاكهة أثناء نضوجها. هل يا ترى لم أعد أعرف عمّا أتكلّم وأنّ كلّ شيء يفلت منّي من دون أن أنتبه؟ لا، أنا أعرف ـ ولكنْ بحذرٍ لأنّي على بعد شعرة من عدم المعرفة. أتغذّى برقّة من الحياة اليوميّة التافهة ومن شرب القهوة على الشرفة، عند عتبة هذا الغسق الذي يبدو سقيمًا فقط لأنّه حلوٌ وحسّاس.

الحياة المائلة ؟ أنا أدرك جيّدًا أنّ هناك خلافًا طفيفًا بين الأشياء، تصادمًا تقريبًا. أنّ هناك خلافًا بين

الكائنات التي تفقد بعضها بعضًا بين كلماتٍ لم تَعدْ تقول شيئًا. لكنّنا نتفاهم تقريبًا في هذا الخلاف الخفيف، في هذا الـ تقريبًا، الطريقة الوحيدة لتحمُّل الحياة الصادمة، لأنَّ اللّقاء المُفاجئ بها وجهًا لوجه قد يُخيفنا، ويُفزع خيوطَ شبكة العنكبوت الرّفيعة الخاصّة بها. ننظرُ بطرف العين، كي لا نعرّض للخطر ما نتوقّعه أن يكون شيئًا آخر بلا حدود في هذه الحياة التي أحدّثك عنها.

أنا أعيشُ على الهامش ـ مكان لا يحمّصني فيه الضوء المركزيّ. وأتكلّم بصوتٍ خافض، بحيث تضطرُّ الآذان للأصغاء لكي تسمعني.

لكنّني أعرف أيضًا حياةً أخرى. أعرفها وأريد أن أفترسها بشراسة. إنّها حياة عنفٍ سحريّ. غامضة وفاتنة. فيها تتعانق الثعابين بينما ترتجف النجوم. قطرات من الماء تنقط في ظلام المغارة الفوسفوريّ. في هذا الظلام تتشابك الزهور في حديقةٍ خرافيّةٍ رطبة. وأنا الساحرة في هذه السهرة الخمريّة الصامتة. أشعر بالهزيمة بسبب فسادي. وأرى أنّي سيّئة في جوهري. لست جيّدةً إلّا عن طريق الخير الخالص. تهزمني نفسي. تقودني إلى طرقات السمندر، الجنّ الذي يحكم النار ويعيش داخلها. وأقدّم نفسي قربانًا

للموتى. أنطق بتعويذاتٍ عند انقلاب الشمس، فيختفي شبح التنّين.

لكنّني لا أعرف كيف ألتقطُ ما يحدث للتوّ إلّا بعيش كلّ ما يحدث لي هنا والآن بصرف النظر عمّا يكون. أترك الحصانَ الحرّ يركض نازيًا في فرحةٍ نبيلةٍ نقيّة. أنا، المهرولة بعصبيّة، وحده الواقع يضع حدودًا لي. وعندما يصل اليوم إلى نهايته أسمع الصراصير وأصير مليئةً وغير مفهومة. ثمّ تأتي الصبيحة الزرقاء الحُبلى بآلاف العصافير الصغيرة الصارخة. وكلّ شيء يخطر ببالي أعيشه هنا وأدوّنه. لأنّني أريد أن ألمس بيديَّ المستفسرتين عصب اليوم المرتجف والمرتعش.

ما وراء الفكر، أبلغُ حالةً أرفض أن أقسّمها إلى كلمات. وما لا أستطيع ولا أريد التعبير عنه ينتهي به الأمر ليصير سرّ أسراري. أدرك أنّي أخشى لحظاتٍ لا أستخدم فيها الفكر، وهذه حالةٌ لحظيّة يصعب بلوغها، والتي لسرّيّتها التامّة لا تُستخدم الكلمات التي تُنتج الأفكار. هل عدم إستخدام الكلمات هو فُقدان للهويّة؟ هل هو تيهٌ في الظلال الجوهريّة الضارّة؟

أفقد هويّة العالم بداخلي وأوجد من دون ضمانات. أحقّق القابل للتّحقيق، ولكنّي أعيش غير القابل

للتحقيق؛ ومعنانا، أنا والعالم وأنت، ليس واضحًا. إنّه رائع، وأتعامل مع نفسي في هذه اللحظات بحساسيّة هائلة. هل الإله شكلٌ من أشكال الوجود؟ هل هو التجريد الذي يتجسّد في طبيعةِ كلّ ما هو موجود؟ إنّ جذوري ضاربةٌ في الغياهب الإلهيّة. جذور ناعسة، تترنّح في الظلمات.

وفجأةً، أشعرُ أنّنا سننفصل قريبًا. حقيقتي المذهولة هي أنّني كنت دائمًا لكَ وحدك، ولم أكن أدرك ذلك. أدرك الآن: وحيدةٌ أنا. أنا وحرّيّتي التي لا أدري كيف أستخدمها. العزلة مسؤوليّةٌ عظيمة. من ليس تائهًا، لا يعرف الحرّيّة ولا يُحبُّها. أمّا من جهتي، فأنا أسلّم بحرّيّتي التي تصاب بالذهول أحيانًا وكأنّها تشاهد ألعابًا ناريّة. أنا وحيدة، وينبغي عليّ أن أعيش مجدًا حميمًا معيّنًا يمكنه في العزلة أن يتحوّل إلى ألم. والألم صمت. أحتفظ باسمِه في السرّ، أعوزُ أسرارًا لكي أعيش.

هل تُعلَنُ لكلّ واحدٍ منّا ـ في لحظةٍ معيّنةٍ ضائعة من الحياة ـ مهمةٌ يجب أن ينجزها؟ أرفض في كلّ حال أيّة مهمّة. لا أنجز أيّ شيء. أعيش فقط.

إنّه غريبٌ جدًّا وصعب استبدال الفرشاة الآن بهذا الشيء المألوف بشكلٍ غريب وعن بعد دائمًا،

الكلمة. الجمال العظيم والحميم موجود فيها. ومع ذلك لا يُمكن إدراكه. وعندما يبدو أنّه في متناول اليد فليس إلّا وهمًا ما يزال غير مُمكنٍ للإدراك. من لوحتي ومن كلماتي هذه المتزاحمة يرتفع صمتٌ شبيه بالمادّة الأوليّة للعيون. هناك شيء يهرب منّي طوال الوقت. وعندما لا يهرب أوقن أنّ: الحياة هي شيءٌ آخر، لها نمطٌ مستتر.

هل يا ترى في لحظة الموت سوف أُرغم الحياة، محاولة العيش أكثر ممّا أقدر عليه؟ لكنّ أنا اليوم أكون.

أكتب لكَ من دون تنسيق، أعرف. ولكنّي هكذا أعيش. لا أتعامل إلّا مع المفقودات والمعثورات.

لكنّ الكتابة بالنّسبة لي محبِطة: في الكتابة أتعامل مع المستحيل. مع لغز الطبيعة. ولغز الإله. من لا يعرف ما هو الإله، لن يتمكّن من معرفته أبدًا. لأنّ المعرفة بالإله تنتمي إلى الماضي. هي شيءٌ معلوم.

ألا أملك حبكةً في الحياة؟ إنّي مجزّأةٌ بشكلٍ غير متوقع. تدريجيًا. حكايتي هي العيش. لا أخشى الفشل. فليهلكني الفشل، أريد مجد السقوط. ملاكي المشلول الذي يتململ مراوغًا، ملاكي الذي سقط من السماء إلى الجحيم حيث يعيش متلذّذًا

بالشرّ.

هذه ليست قصّة، لأنّني لا أعرف قصصًا على هذا النحو، ولكنْ كل ما أعرفه هو أن أمضي بالقول وبالفعل: إنّها روايةٌ لحظاتٍ تهرب مثل قضبان السكّة الهاربة كما تُرى من نافذة القطار.

سنلتقي بعد ظهر اليوم. ولن أتحدّث معك حتى عن هذا الذي أكتبه والذي يحتوي على ما أنا أكون، وأعطيه لك كهديّة على الرّغم من أنّك لن تقرأه. لن تقرأ أبدًا ما أكتبه. وعندما أنتهي من تدوين سرّ وجودي ـ سأرميه بعيدًا كما في البحر. أكتبُ لك لأنّك لا تتقبّل ما أنا عليه. عندما أدمّر ملاحظاتي عن اللحظاتِ، هل سأرجع إلى لاشيئيّتي من حيث استخرجتُ كلّ شيء؟ يجب أن أدفع الثمن. لمن من يملك ماضيًا لا يتجدّد سوى بالعاطفة في الحاضِر الغريب. عندما أفكّر بكلّ ما عشته يبدو لي أنّني مضيتُ راميةً ورائي كلّ أجسادي على طول المسارات.

إنّها الخامسة صباحًا تقريبًا، وضوء الفجر يُغمى عليه، ويبلج النهار من الظلام مثل فولاذٍ أزرق بارد وبطعم حادٍّ حامض، ويطفو على سطح الزمان، وأنا أيضًا زرقاء غامقة، أبثق من الظلمات، غير شخصيّة،

أنا التي أكون it.

سأخبرك شيئًا. لا أعرف كيف أرسم أفضل أو أسوأ ممّا أفعل. أنا أرسم «هذا» وأكتب «هذا». وهو كلّ ما يمكنني فعله. مضطربة. لِتّرات الدّم التي تدور في العروق. العضلات في إنقباضها وإنبساطها. والجسد هالة بدر. شلجميّة - مهما كان معنى هذه الكلمة. أنا شلجميّة. لا أستطيع تلخيص نفسي، لأنّه ليس من الممكن إضافة كرسيّ إلى تفاحتين. أنا كرسيّ وتفاحتان. غير قابلة للجمع.

وها أنا مرّةً أخرى متكاملة بحبٍّ مبتهج. أتنفّس بسرعة ما أنتَ تكون مستنشقةً هالة الروعة قبل أن تتلاشى في الهواء المتبخّر. هل إرادتي الطازجة لأعيشني وأعيشك هي نسيج الحياة نفسه؟ طبيعة الكائنات والأشياء - هل هي الإله؟ هل هذا يعني أنّني إذا تضرّعت للطبيعة كثيرًا، سوف أتوقّف عن الموت؟ هل يمكنني خَرق الموت وإجلاء فتحةٍ فيه للحياة؟

أمحو الألم ممّا أكتبه لك، وأقدّم لك فرحي القَلِق.

وفي هذه اللحظة - الآن أشاهد تماثيل بيضاء متناثرة في منظور المسافات البعيدة - أبعد وأبعد من الصحراء حيث أشرد بنظرةٍ خاوية. أنا نفسي تمثال يجب أن يُنظر إليه من بعد. أنا التائهة دومًا. أتمتّع بالموجود.

صامتة، فضائيّة، داخل حُلمي العظيم. بما أنّي لا أدرك شيئًا ـ أتمسّك بالواقع المتحرّك المتعثّر. أبلغ الشيء من خلال الحلم. أنا أخترعُك، أيّها الواقع! وأسمعُك، مثل أجراس بعيدة مغمورة بالمياه، تقرع مرتجفة. هل أنا في صميم الموت؟ ولهذا السّبب أنا حيّة؟ الصميم الحسّاس. وهذا الـ *it* يبهجني. أنا حيّة. لقد انفتح فيّ طريق الدم المؤلم، مثل جرح، زهرةٍ في اللحم. بإغواءٍ من قِبل هنود *لاغوا سانتا*، إغواءٍ صريح ولذا بريء. أنا، المعرّضة لتقلّبات الطقس، أنا، النقش المفتوح على وجه صخرة، ضمن المساحات الزمنيّة الشاسعة، ميراث إنسان ما قبل التاريخ. تهبّ الرياح الساخنة من المدى الواسع القديم وتحمّصُ سطحي.

لقد استخدمت اليوم اللّون الأحمر الترابيّ والأصفر المعدنيّ، الأسود وقليلًا من الأبيض. أشعر أنّني قريبة من الينابيع، من البحيرات والشلّالات، كلّها بمياه زاخرة وعذبة لعطشي. وأخيرًا أنا وحشيّة، وأخيرًا متحرّرة من أيّام الحاضر الجافّة: أعدو إلى الأمام وإلى الوراء من دون حدود. أؤدي طقوسًا شمسيّة على سفوح الجبال الشاهقة. ولكنّني *تابو* نفسي، لا أُلمَس لأنّي محرّمة. هل أنا البطل الذي يحمِل معه الشعلة

المحترقة في سباقٍ إلى الأبد؟

آه.. يا جبروت كلّ ما هو موجود، ساعدني، أنت المدعوّ بالإله. لماذا يدعوني الشبح الفظيع؟ ماذا أريد من رعبي؟ لأنّ شيطاني قاتلٌ ولا يخشى العقاب. ولكنّ الجريمة أهمّ من العقاب. أنا أحيا بكلّي في غريزتي السعيدة للتدمير.

حاول أن تفهم ما أرسمه وما أكتبه الآن. سأشرح لك. في الرسم كما هو الحال في الكتابة، أحاول أن أرى بدقّة اللحظة التي أراها فيها ـ لا، التي أتذكّر أنّني قد رأيتها في لحظةٍ ماضية. اللحظة هي هذه. دائمًا على الشفير، ممّا يخطف أنفاسي. اللّحظة وشيكة بحد ذاتها. في الوقت عينه الذي فيه أعيشُها، أقتحمُ ممرّها إلى لحظةٍ أخرى.

هكذا، رأيت بوابة الكنيسة التي رسمتها. أنتَ تكلّمتَ على التماثُل المفرط. دعني أفسّر لك: إنّ التماثُل هو أكثر ما أنجزتُ. لم أعد أخشى التماثُل، من بعد فوضى الإلهام. إنّ الخبرة، أو الشجاعة، ضرورية لإعادة تقييم المتماثل عندما يمكن للمرء بسهولة تقليد عدم التماثُل الخاطئ ، وهو أحد أكثر الابتكارات شيوعًا. إنّ تماثُلي على بوّابة الكنيسة مكثّف، مُستَحوَذ، ولكنّه ليس عقائديًّا. يعبره الأمل

بالتقاء لا متماثلَين في تماثل. أمّا الحلّ الثالث فهو: التركيب. ربّما لهذا السّبب تبدو البوّابات بهذا المظهر التجريديّ، برقّة شيءٍ عاش ثمّ أعيد إحياؤه، وليس بتلك الشجاعة غير المسؤولة، ميزة الجاهلين. لا، ليس هدوءًا بالضبط ما تجده هناك. هناك معركةٌ صعبةٌ من أجل الشيء الذي رغم تآكله ما زال قائمًا. وفي الألوان الأكثر كثافة، ترى جاذبيّةَ شيءٍ، رغم اعوجاجه، ما يزال قائمًا. إنَّ صلباني منحنية جرّاء قرونٍ من الفداء.

هل البوّابات هي إشارةٌ لهيكل الكنيسة؟ صمت البوّابات. يكون لاخضرارها صبغة ما هو بين الحياة والموت، كثافة الغسق.

وبين الألوان الهادئة، هناك البرونزيّ القديم والفولاذيّ . وكل هذا مجسّمٌ بصمت المفقودات والمعثورات من الأشياء في أرضٍ شديدة الانحدار. أشعر بطريقٍ طويلٍ وغبارٍ قبل الحطّ على اللوحة. حتى لو لم تنفتح البوّابات. أو أنّ بوابة الكنيسة هي الكنيسة بعينها، وأن تكون أمامها هل يعني أنّك لقد وصلت؟

أنا أكافح من أجل عدم تجاوز البوّابة. إنّها جُدران مَسيحٍ غائب. لكنّ الجُدران موجودةٌ وقابلة للّمس ـ لأنّ الأيادي تنظر أيضًا.

أنا أصنع المواد قبل أن أقوم برسمها، ويصير الخشب ضروريًّا للوحاتي كما هو الحال بالنّسبة للنحّات. والمواد المصنوعة هي دينيّة: لها وزن الدعامة في الدير. محكّمة، مغلقة كبوّابة مقفلة. ولكنْ على البوّابة فتحات سُلخت، خُدشت بالأظافر. ولكنْ من خلال هذه الثغرات يمكن رؤية ما في داخل التركيب، داخل التماثُل المثاليّ. لونٌ متخثرٌ، عنفٌ، استشهادٌ، هي دعامات تسند صمت التماثُل الدّيني.

ولكنّ ما يهمّني الآن هو لغز المرآة. أبحث عن طريقةٍ لرسمها أو التحدُّث عنها بالكلمة. ولكنْ ما هي المرآة؟ كلمة مرآة غير موجودة، المرايا فقط هي الموجودة. لأنّ الواحدة منها هي مرايا لا تُحصى. هل يا ترى يوجد في مكانٍ ما في العالم مَنجمٌ للمرايا؟ المرآة ليست شيئًا مخلوقًا، بل مولودًا. لا حاجة للكثير لكي تحصل على منجمٍ متلألئ بسير نائمًا. مرآتان كافيتان، واحدة تعكس ما عكسه انعكاس الأخرى، في هزّةٍ تنتقل كرسالةٍ تلغرافيّةٍ مكثّفة، خرساء، مصرّة كسيولةٍ تستطيع أن تُغرق فيها يدًا مفتونة وتسحبها وهي تقطر انعكاسات هذا الماء الصلب الذي هو المرآة. مثل كرة العرّافين البلّوريّة، إنّها تجرّني إلى الفراغ الذي هو بمنزلة مجال التأمُّل للعرّاف، أمّا فيّ

فيكون مجالاً للصمت وللصمت. وبالكاد أستطيع الكلام من كثرة الصمت الذي يتفتّق على صمتٍ آخر.

مرآة؟ ذلك الفراغ المتبلور الذي يحتوي على مساحةٍ كافية للمضيّ قدمًا بلا توقّف: فالمرآة هي أعمق فضاءٍ يوجد. وهي شيء سحريّ: فمن يقتني قطعةً مكسورة منها يستطيع برفقتها الذهاب للتأمّل في الصحراء. أن ترى نفسك هو أمرٌ غير عاديّ. مثلَ الوبَرِ على ظهر هرٍّ ينتفِض، يتقشعر بدني في مواجهة نفسي. ومن الصحراء، كنت لأرجع فارغةً، مضيئةً وشفّافةً، وبصمت المرآة المهتز نفسه.

شكلها ليس مهمًّا: لا يستطيع أيُّ شكلٍ أن يحيط بها ويقيّدها. شظيّةٌ صغيرةٌ من مرآة هي دائمًا المرآة بأكملها.

جرِّدْها من إطارها أو من خطوط أطرافها، تتوسّع مثل الماء الذي ينسكب.

ما هي المرآة؟ هي المادة الوحيدة المخترَعة والطبيعيّة. من ينظر إلى المرآة، من يتمكّن من رؤيتها من دون أن يرى نفسه، من يفهم أن عمقها يكمُن في كونها فارغة، من يسير إلى داخل الفضاء الشفّاف من دون أن يترك فيه أثرًا لصورته - يكون هذا المرء قد

أدرك لغز المرآة الشيئيّ. ولكي يحدث ذلك يجب مفاجأتها وهي وحدها، معلّقةً في غرفةٍ فارغة. دون أن ننسى أن أرفعَ إبرةٍ أمامها سوف تحوّلها إلى صورة إبرة بسيطة. إنّ المرآة في غاية الحساسيّة كانعكاسٍ خفيف، الصورة فقط لا الجسد. جسد الشيء.

عندما رسمتُ المرآة، احتجت إلى رقّتي كي لا أعبّرها بصورتي، بما أنّ المرآة التي أرى فيها نفسي هي أنا. المرآة الفارغة لا غير، هي المرآة الحيّة. شخصٌ رقيقٌ جدًّا فقط يستطيع أن يدخل الغرفة الفارغة حيث توجد مرآة فارغة، فمثل هذه الخفّة، وبمثل غياب الذات هذا، لا تترك الصورة آثرًا. وكجائزة، سيكون ذلك الشخص الحسّاس قد اخترق أحد أسرار الأشياء التي لا يُمكن انتهاكها: يكون قد رأى المرآة هي نفسها.

واكتشف المساحات المتجمّدة الهائلة الموجودة فيها، تفصل بينها كتلةُ جليدٍ هنا وأخرى هناك. المرآة بردٌ وجليد. ولكنّها تحتوي على سلسلة من الظلمات - إدراك هذا لحظة نادرة - يتطلّب الكثير من المراقبة ليلًا ونهارًا، والصيام عن الذات، لكي يستطيع المرء من التقاط تسلسل الظلمات ومفاجآتها داخل المرآة. باللونيْن الأسود والأبيض، ألقيت القبض على لمعانها

المرتجف فوق لوحتي، وبالأسود والأبيض بالذات استعدتُ التقاط حقيقةٍ من أصعب الحقائق المتعلّقة بها: صمتُها هو البرد من دون لون. يجب على المرء أن يفهم الغياب العنيف للون المرآة من أجل إعادة إنشائها، وكأنّه يُعيد إنشاء الغياب العنيف لذوق الماء.

لا، لم أصف المرآة ـ أنا كنت المرآة. والكلمات هي نفسها، دون صبغةٍ خطابيّة.

يجب أن أتوقّف لأقول إنّ «X» هو ما يوجد بداخلي «X» ـ أنا أستحمّ بهذا الشيء. لا يُنطق. كلّ ما أعرفه موجود في «X». الموت؟ الموت هو «X». ولكنْ أكثر الحياة هو أيضًا «X»، لأنَّ الحياة أيضًا غير قابلة للنطق. إنّ «X» الذي يرتجف فيَّ وأخشى مِعيار نغمه: يرتجف مثل وتر التشيلو. وتر مشدود حين يُنقر، يبعث تيّارًا صافيًا، من دون لحن. اللحظة لا تُنطق. حساسيّة أخرى هي التي تَعي الـ «X».

آملُ أن تعيشَ الـ «X» لكي تجرّب هذا النوع من النوم الخلّاق الذي في الأوردة. ليس «X» جيّدًا ولا هو سيّئًا. مستقلّ دائمًا. ولكنّه لا يحدث سوى لذوي الأجساد. بالرّغم من عدم مادّيته، فهو يحتاج لجسدنا ولجسد الشيء. هناك بعض الأشياء هي

اللغز الكامل لـ«X»، مثل أيِّ شيءٍ يرتجّ بصمت. اللحظات هي شظايا «X» المتفجِّر باستمرار. الفائض منّي يؤلمني، وعندما أصير طافحةً يجب أن أخرج منّي مثل الحليب الذي إن لم يتدفّق، يُفجِّر الثدي. أتخلّص من الضغط وأعود إلى الحجم الطبيعيّ. المرونة الدّقيقة. مرونة نمرٍ ناعم.

نمرٌ أسود محبوس. حدّقتُ مرّةً في عينيّ نمر وهو حدّق في عينيّ. وحدث التحويل. تلك الرّهبة. خرجتُ من هناك مشوّشة الأحشاء، الـ «X» المضطرب. كلُّ شيءٍ حدث ما وراء الفكر. أفتقدُ تلك الرهبة الذي شعرتُ بها عند تبادل النظرات مع النمر الأسود. أتقن الإرهاب.

هل «X» هو تَفَسُ *it*؟ هل هو تنفُّسها المشعّ البارد؟ هل «X» كلمة؟ الكلمة تشير إلى شيء، وهذا ما لا أتوصّل إليه أبدًا. كلٌّ منّا رمزٌ يتعامل مع رموز - كلُّ نقطةٍ ليست سوى إشارةٍ إلى الحقيقيّ. نحاول يائسين العثور على هويّة خاصّة بنا وعلى هويّة الحقيقيّ. وإن كنّا نفهم أنفسنا من خلال الرمز لأنّنا نمتلك الرموز ذاتها، التجربة نفسها التي للشيء نفسه: ولكنّ الحقيقة ليس لها مرادفات.

أنا أتحدّث إليك تجريديًّا وأتساءل: هل أنا آريا

لحنيّة غنائيّة؟ لا، ليس من المُمكن غناء ما أكتبه لك. لماذا لا أعالج موضوعًا يمكنني استجلاءه بسهولة؟ لكنْ لا: أسير مجاورةً للجدار، أسرق اللّحن المكشوف، أمشي في الظلّ، حيث يحدث الكثير. أحيانًا، أسيل على الجدار، في مكانٍ لا تصله الشمس أبدًا. نضجي حول موضوعٍ ما هو بالفعل آريا لحنيّة غنائيّة - لذا، دعْ شخصًا آخر يؤلّف أغنيةً أخرى. أغنية نضوج الرباعيّ الخاص بي. وقبل النضوج الموسيقي ستكون الحقيقة. ولكنْ أيُّ حقيقةٍ تملكها ليلةٌ تحدث بأكملها على طريقٍ مختصر، بينما ننام غير واعين على أيِّ شيء؟ أين الحقيقة؟ قصّتي مؤلّفة من ظلامٍ هادئ، من جذورٍ نائمة في جبروتها، من رائحةٍ لا عطر لها. والمجرّد لا يوجد في أيٍّ من ذلك. هو الرمزيّ غير المسمّى. لا لحم تقريبًا في رباعيِّ هذا. لو لم تكن كلمة «أعصاب» مرتبطةً بالموجات المؤلمة، لكانت رباعيًّا من الأعصاب. أوتار سوداء، إن نُقرت، لنْ تتكلّم على «أشياء أخرى»، لن تغيّر الموضوع - هي في ذاتِها ولِذاتِها، تستسلم تمامًا كما هي، من دون كذبٍ ولا خيال.

أعلم أنّه بعد قراءتي من الصعب أن تؤدّي أغنيتي معتمدًا على السمع فحسب، ليس من المُمكن أن

تُغنّيها من دون أن تكون قد حفظتها عن ظهر قلبك. وكيف بمكنك أن تتعلّم شيئًا عن ظهر قلب إذا لم يكن لديه قصّة؟

ولكنْ سوف تتذكّر شيئًا ما حدث أيضًا في الظلّ. ستكون قد شاركت بهذا الوجود الأوّل الصامت. وكما هو الحال في حلمٍ هادئ من ليلةٍ هادئة، ستكون قد شخْتَ مثل الصمغ على جذع شجرة. بعد ذلك ستقول: لم أحلم بشيء. هل هذا كافٍ؟ كافٍ، نعم. خصوصًا وأنّه في ذلك الوجود الأوّل هناك غياب للخطأ ونبرةٌ عاطفيّةٌ لشخصٍ قادرٍ على الكذب، لكنّه لا يكذب. هل هذا كافٍ؟ نعم، هو كافٍ.

ولكنّي أريد أن أرسم موضوعًا، أريد إنشاءَ شيءٍ، وهذا الشيء سيكون - خزانة الملابس، وهل من شيءٍ ملموسٍ أكثر منها؟ يجب أن أدرس الخزانة قبل رسمها. ماذا أرى؟ أرى أنّه من المُمكن اختراق الخزانة، لأنّ لها بابًا. ولكنْ، عندما أفتحه أرى أنّ الاختراق قد أُجّل: بما أنّ الداخل هو سطح من الخشب وله باب مقفل. وظيفة الخزانة: الحفاظ على المتدثّرين في العتمة. الطبيعة: المتعلّقة بحصانة الأشياء. العلاقة مع الناس: ننظر إلى أنفسنا في المرآة المثبّتة على الباب من الداخل. ننظر إلى أنفسنا

دائمًا في ضوءٍ مزعجٍ، لأنَّ الخزانة عادةً لا تكون في مكانٍ مناسب: بليدة، تقف أينما اتّسعَ لها، ضخمة دائمًا، حدباء، خجولة وخرقاء، لا تعرف كيف تكون أكثر تحفُّظًا، لأنَّ لها حضورًا أكثر من اللّازم. خزانة الملابس هائلة، متطفّلة، حزينة ومفيدة.

ولكنْ فجأةً، ينفتح الباب ـ المرآة، ومن حركة الباب، ومن موقع الخزانة تتشكّل الغرفة بطريقةٍ جديدةٍ في الظلّ، وتتدخّل في هذا التشكيل، قوارير وقوارير زجاجيّة من الضوء العابر.

عندئذٍ أستطيع رسم جوهر الخزانة. الجوهر الذي ليس أبدًا كانتابيلي. لكنْ أريد أن يكون لديَّ الحريّة لأقول أشياءَ غير مترابطة كطريقةٍ عميقةٍ للوصول إليك . لا يجذبني إلّا الخطأ، وأنا أحبُّ الخطيئة، زهرة الخطيئة.

ولكنْ ماذا يمكنني أن أفعل إذا لم تُؤثّرْ بك عيوبي، بينما أحببتُ عيوبَك. لقد أهنْتَ صَفائي. أنت لم تحبّني، لا أحدٌ غيري يعلم ذلك. كنتُ وحدي. لكَ وحدَك. لا أكتب لأحد ، ويتكوّن ارتجالٌ لا وجود له. سلختَني عن نفسي.

أريد التفكُّك، عندها فقط سوف أكون أنا في العالم. عندها فقط سوف أكون بخير.

كُن بخير. أنا في وحدتي على وشك الانفجار. ربّما يكون الموت انفجارًا داخليًّا صامتًا. لم يَعُد الجسد يتحمّل أن يكون جسدًا. وماذا لو كان للموت مذاق الطعام عند الجوع؟ وماذا لو كان الموت متعةً، متعةً أنانيّة؟

بالأمس، كنتُ أشرب القهوة، وسمعت الخادمة في غرفة الغسيل تنشر الثياب على الحبل وتدندن لحنًا من دون كلمات. ترنيمةً حزينة للغاية. سألتها لمن الأغنية. أجابتني: هراءٌ منّي لا غير. ليست لأحد.

أجل، ما أكتبه لك ليس لأحد. وحريّة اللاّأحد هذه خطيرة جدًّا، مثل اللاّنهاية. ولونها بلون الهواء.

كلُّ هذا الذي أكتبه ساخنٌ مثل البيضة الساخنة التي ننقلها من يدٍ إلى أخرى، ثمّ إلى الأولى مرّةً أخرى تفاديًا للحرق ـ لقد رسمت بيضةً ذات مرّة. والآن كما هو الحال في الرسم أقول فقط: بيضة.. وهذا يكفي.

لا لم أكن يومًا حَداثيّةً. الأمر كما يلي: حينما أستغرب لوحةً، حينئذٍ تكون لوحةً، وعندما أستغربُ كلمةً عندئذٍ تكون قد توصّلتُ إلى المعنى. وعندما أستغرب الحياة، حينها تبدأ الحياة. أحرص على عدم تجاوز ذاتي. وفي كل هذا ضبطٌ كبيرٌ للذات. وبعد

ذلك أشعر بالحزن فقط للاستراحة. حتى إنّني أبكي بهدوء من حزني، ثمّ أنهضُ وأبدأ من جديد. ولا أقصّ عليك قصّةَ الآن، لأنّ في هذه الحالة سيكون فجور. أنا لا أكتب لإرضائك. أكتب نفسي بشكل رئيسيّ. عليّ أن أتبع الخطّ النقيّ، وأن أُبقي it نفسي بلا تلوّث.

الآن، سأكتب لك كلّ ما يخطر ببالي بأقل قدرٍ مُمكن من الاحتياط. إنّي أشعر بالانجذاب إلى المجهول. لكنْ طالما رافقتني نفسي لن أكون وحيدة. أبداً: سأقطف الحاضر من كل جملةٍ تموت. الآن:

آه، لو كنتُ أعلم أنّ الأمر هكذا لَما وُلدْتُ. لو كنتُ أعلم لَما وُلدتُ. إنّ الجنونَ جارٌ للتعقُّل الأقسى. وهذه عاصفةٌ دماغيّة وجملةٌ بالكاد لها علاقة بالجملة التالية. أنطلع الجنون الذي ليس جنونًا ـ بل شيئًا آخر، هل تفهمني؟ لكنْ يجب أن أتوقّف لأنّني متعبة جدًّا، جدًّا لدرجةٍ أنّ الموت وحده الذي سيحرّرني من هذا التعب. إنّي ذاهبة.

لقد عدتُ. سأحاول مرّةً أخرى أن أُطلع نفسي على مستجدّات ما يحصل لي في هذه اللحظة ـ وهكذا سوف أؤلّف نفسي. كما يلي:

الخاتم الذي أهديتني إيّاه كان من زجاج وانكسر، والحب إنتهى. ولكنْ في بعض الأحيان تحلّ مكانه كراهيةٌ جميلةٌ تخصّ أولئك الذين أحبُّوا والتهموا بعضهم بعضًا. الكرسيّ هناك أمامي هو كائنٌ بالنّسبة لي. عديمة الفائدة بينما أنظر إليها. من فضلك قلْ لي كم الساعة لكي أعرف أنّني أعيش في هذه الساعة. إنّي ألتقي بنفسي. هذا مُميتٌ لأنّ وحده الموت يختُمني. ولكنّي أتحمّل حتّى النهاية. سأفضيك بسرّ: الحياة مميتة. أنا مضطرّةٌ للتوقُّف كي أُخبرك بهذا: الموت هو المستحيل واللّا ملموس. بهذه الطريقة يكون الموت مستقبليًّا فقط، وحيث يوجد من لا يطيقه وينتحر. وكأنّ الحياة قد قالت ما يلي: ببساطة لم يكن هناك ما يلي. وحدهما النقطتان تنتظران. نُبقي هذا السرّ صامتًا للإسْرار بأنّ كلّ لحظة فانية. موضوع الكرسي يهمُّني. أحبُّ الأشياء لدرجةٍ أنّها لا تحبّني. ولكنْ إذا كنتُ لا أفهم ما أكتبه، فالذنب ليس ذنبي. عليّ أن أتكلّم لأنّ الكلام يخلّص. ولكنْ ليس لديّ أيّ كلمة لأقولها. ماذا يقول المرءُ لنفسه في جنون الإخلاص؟ ولكنّه الخلاص. مع أنّ رهبة الإخلاص تأتي من الظلمات التي تصلني بالعالم وباللّاوعي المؤلّف للعالم. اليوم هو ليلةٌ سماؤها مليئةٌ بالنجوم. توقُّف المطر. أنا عمياء.

أفتح عينيّ على مصراعيهما وأرى فحسب . ولكنّ السرّ ـ هذا لا أراه ولا أشعر به. هل يا ترى أنا أصوغ الآن عربدةً حقيقيّة ممّا يقع ما وراء الفكر؟ عربدةً من الكلمات؟ إنّ جهاز المسجّل متعطّل. أنظر إلى الكرسيّ وهذه المرأة تبدو وكأنّها هي أيضًا قد نظرت ورأت. المستقبل ملكي ـ ما دمتُ أعيش. أرى الزهور في المزهريّة. الزهور البريّة تنبت من دون زراعة، زهور صفراء. قالت الطبّاخة: ما أبشع هذه الزهور. فقط لأنّه من الصعب أن نحبّ الأشياء الفرنسيسكيّة. توجد حقيقةٌ ما وراء تفكيري، وهي حقيقة العالم. لا منطقيّة الطبيعةِ. يا لهذا الصمت. «الإله» في صمتٍ هائلٍ يرعبني. مَنْ اخترع الكرسيّ يا تُرى؟ إنّ كتابة ما يخطر لي يتطلّب الشجاعة: لا تعلم أبدًا ما قد يأتي ويخيفك. لقد مات الوحش المقدّس. في مطرحه وُلدت فتاةٌ كانت يتيمة الأم. أنا مدركةٌ جيّدًا ضرورة أن أتوقّف. ليس لعدم وجود كلمات، ولكنْ لأنّ تلك الأشياء الخاصة التي أفكّر بها ولا أكتبها ـ لا تُقال. سأتحدّث عمّا يسمّى بالتجربة. تجربة أن تطلب النجدة وأن يُلبّى الطلب. ربّما كان يستحقّ أن أُولد من أجل يومٍ واحدٍ، فيه أتوسّل بصمتٍ وفيه يُلبّى الطلب بصمت. لقد طلبت النجدة ولم يُرفض طلبي. وعندها شعرت أنّني لمرّ وفي لحمه سهمٌ قاتل مغرور،

يدورُ حول أناسٍ خائفين محاولًا اكتشاف مَنْ لديه الشجاعة للاقتراب ولإنقاذه من آلامه. وفجأةً، يظهر ذلك الشخص الذي يعلم أنّ نمرًا جريحًا لا يسبّب خطرًا أكثر من طفل. يقترب إذن من الوحش، لا يخاف لمسه، ويسل السهم المغرور.

والنمر؟ لا يستطيع الشكر. لذلك أطوفُ أمام الشخص عدة مرّات ذهابًا وإيابًا على مَهَل وأتردّد. ألعق إحدى قدميّ. وبما أنّ الكلمة ليست مهمّة، فإنّني أبتعد بصمت.

ما أنا في هذه اللحظة؟ أنا آلةٌ كاتبة تجعل المفاتيح الجافّة تدوّي في الفجر الغامق والرطب. منذ زمنٍ طويلٍ لست شخصًا. أرادوني أن أكون شيئًا. أنا شيء. شيءٌ ملطّخ بالدم. أنا شيءٌ يؤلّف أشياءَ أخرى، والآلة الكاتبة تؤلّفنا جميعًا. تتطلّب الآليّة وتتطلّب حياتي. ولكنّي لا أطيع كليًّا: إذا كان يجب أن أكون شيئًا فليكن شيئًا يصرخ. ثمّة شيء في داخلي يؤلمني. آه، كم يؤلمني وكيف يصرخ طالبًا النجدة. لكنْ لا دموع في الآلة الكاتبة التي هي أنا. أنا شيءٌ من دون مصير. أنا شيءٌ في يد مَن؟ هذا هو مصيري البشريّ. ما يُنقذني هو الصراخ. أنا أحتجّ باسم كلّ ما هو داخل الشيء ووراء ما وراء التفكير -

الشعور. أنا شيءٌ عاجل.

الآن ـ صمت ودهشة خفيفة.

لأنّه في الخامسة صباحًا من هذا اليوم 25 يوليو، حللْت في حالةٍ من النعمة.

لقد كان إحساسًا مفاجئًا، لكنّه لطيفٌ جدًّا. كان الوميض يبتسم في الهواء: هذا بالضبط. كانت تنهيدة العالم. لا أعرف كيف أشرح، كما لا أعرف كيف أشرح الفجر لإنسانٍ أعمى. لا يُلفظ ذاك الذي حدث لي في شكل إحساس: أحتاج لتعاطفك بسرعة. أشعر معي. كانت سعادةٌ عظمى.

لكنْ لو كان لك علمٌ مسبق بحالة النعمة لكنتَ علمتَ ما سوف أقوله لك: إنّي لا أتكلّم على الإلهام، فهو نعمةٌ خاصّة جدًّا، تحدث لأولئك الذين يتعاملون مع الفنّ.

حالة النعمة التي أتحدّث عنها لا تُستخدم لأيّ شيء. كما أنّها تَحدث فقط لكي نعلم أنّنا موجودون حقًّا، وأنّ العالم موجود. في هذه الحالة، عدا عن السعادة الهادئة التي تشعّ من الناس والأشياء، هناك صفاء الذهن الذي أصفه بالخفيف فقط، لأنّ في النعمة كلّ شيء خفيف للغاية. إنّه صفاء ذهن مَنْ لم يَعُد يتطلّب تخمينًا: من دون أي جهد، يعلم.

هكذا فقط: هو يعلم. لا تسألني ماذا، لأنّي لا أستطيع الرد إلّا بالطريقة نفسها: هو يعلم.

وهناك النعيم الجسديّ الذي لا يقارَن بأيّ شيء آخر. يتحوّل الجسد إلى هبة. وتشعر أنّها هبة لأنّك تجرّبها، مباشرة من المورد، الهبة التي لا تقبل الشكّ، الوجود بمعجزة وبمادّيّة.

كلُّ شيءٍ يكتسب هالة ما، ليست وهميّة: تأتي من روعة الإشعاع الرياضيّ للأشياء ومن ذاكرة الناس. تبدأ بالإحساس بأنّ كلّ ما هو موجود يتنفّس ويزفر الروعة النادرة للطاقة. ومع ذلك، فإنّ حقيقة العالم لا تُدرك باللّمس.

لا يُشبِه ولا حتى قليلًا ما أتخيّله بالكاد، كيف تكون حالة نعمة القديسين. حالةٌ لم يسبق لي أن جرّبتها ولا أستطيع تخمينها. إنّها مجرّد نعمة الشخص العاديّ التي تجعله فجأةً حقيقيًّا، لأنّه طبيعيّ وإنسانيّ ويمكن التّعرّف عليه.

والاكتشافات بهذا المعنى لا تُنطق ولا تُنقَل. ولا تُصدَّق. لهذا بقيت جالسةً في النعمة، هادئةً وصامتة. كالبشارة. لكنْ من دون أن تسبقها الملائكة. وكأنّ ملاك الحياة جاء ليبشّرني بالعالم.

ثمّ خرجت ببطء. ليس كما لو كنت في نشوة.

فليس هناك نشوة ـ، يكون الخروج منها شيئًا فشيئًا، يخرج المرء بتنهيدة من امتلك كلّ شيء في حين حدوثه. كما أنّها في الوقت عينه تنهيدة حنين. لأنّه بعدما جرّبتَ اكتساب جسدٍ وروح، سوف ترغب بالمزيد وبالمزيد. لا فائدة من الرغبة: إنّها تأتي فقط عندما هي ترغب وبتلقائية.

أردت أن أجعَل تلك السعادة أبديّةً من خلال تجسيد الكلمة. بعد ذلك مباشرةً، بحثت في القاموس عن كلمة 'غبطة' والتي أكرهها ككلمة، ووجدتُ أنّ معناها بهجة الروح. تتحدّث عن سعادةٍ هادئة ـ أود أن أسمّيها انتقالٌ أو ارتفاع. ولا يُعجبني كيف يتابع القاموس قائلًا: «لمن يتجرّد في تأمّلٍ باطنيّ» . هذا ليس صحيحًا، لم أكن في حالة تأمّل ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال، ولم أمتلك أيّ تقوى. كنت قد التهمت لتوّي من شرب القهوة، وكنتُ ببساطةٍ أعيش جالسةً برفقة سيجارةٍ تحترق في المنفضة.

التهمتُ لها حينما بدأتْ واجتاحتني. والتهمت عندما بدأت تذبلُ وانتهت. لستُ أكذب. ما كنت قد تعاطيتُ أيّ مخدر، ولم تكن هلوسة. كنت أعرف من أنا ومن هم الآخرون.

ولكنْ، الآن أريد أن أرى إذا كنت قادرةً على التقاط ما حدث لي مستخدمةً الكلمات. باستخدامها، سوف أدمِّر شيئًا مما شعرتُ به ـ لكن لا مفرّ. سوف أسمِّي ما يلي بـ «على هامش الغبطة»، يبدأ الأمر هكذا، لطيفًا وعلى مهل:

عندما ترى شيئًا، فعل الرؤية ليس له شكل ـ ما تراه له شكل في بعض الأحيان وفي أحيانٍ أخرى لا شكل له. فعل الرؤية يفوق الوصف. وأحيانًا ما تراه يفوق الوصف أيضًا. وهذه هي الحال مع نوعٍ معيّنٍ من التفكير ـ الشعور التي سأسمِّيه «الحرّيّة»، فقط لأعطيه اسمًا. الحرّيّة ذاتها ـ كفعل إدراك ـ ليس لها شكل. وكما الفكر الحقيقيّ تفكِّر نفسها، هذا النوع من الفكر يصل إلى هدفه في فعل التفكير ذاته. ولا أقصد بذلك أنّه إمّا يكون غامضًا أو لا مبرِّر له. يحدث أنّ للفكر الأساسي ـ كتفكير ـ شكلًا، ينتقل بسهولةٍ أكبر إلى نفسه، أو بالأحرى، إلى الشخص ذاته الذي يقوم بالتفكير؛ ولأنّه يملك شكلًا ـ يكون له مدى محدود. في حين أنّ الفكر المسمّى «حرّيّة» فهو حرّ كعملٍ فكر. إنّه حرّ لدرجة أنّه يبدو حتى لمن يفكِّره أن ليس له مؤلّف.

يبدو أنْ ليس ثمّة مؤلّف للفكر الحقيقيّ.

وللغبطة، الماهية ذاتها. تبدأ الغبطة في اللّحظة ذاتها التي يتحرّر فيها فعل التفكير من ضرورة الشكل. تبدأ الغبطة في اللّحظة ذاتها التي يتجاوز فيها التفكير ـ الشعور حاجة المؤلّف للتفكير ـ لا يعود بحاجة إلى التفكير، ويجد نفسه الآن على مقربةٍ من عظمة اللّاشيء. يمكنني أن أقول من «كلّ شيء». ولكنْ «كلُّ شيء» كمّيّة، وللكمّيّة حدّ في بدايتها. عدم القدرة الحقيقيّة على القياس هو اللّاشيء، الذي لا حدود له، وحيث يمكن للشخص أن ينشر التفكير ـ الشعور الخاص به.

ليست هذه الغبطة في حدّ ذاتها دينيّةً أو علمانيّة. ولا شيء من هذا له بالضرورة أيُّ تأثيرٍ على مسألة وجود أو عدم وجود إله. ما أقوله هو إنّ فكر الأنسان والطريقة التي يمكن أن يصل فيها هذا التفكير ـ الشعور إلى درجة قصوى من عدم القدرة على التواصل ـ من دون مغالطة أو مفارقة، هو في الوقت نفسه لذلك الإنسان، أعلى نقطة في قابليّة التواصل. إنّه يتواصل مع ذاته.

النوم يقرّبنا جدًّا من هذا الفكر الفارغ، ومع ذلك كامل. أنا لا أتكلّم على الحلم الذي، في هذه الحالة، يكون فكرًا أوّليًّا. إنّي أتكلّم على النوم. النوم

هو تجريد الذات والانتشار في اللاشيء.

أريد أيضًا أن أقول لك إنّ بعد حريّةِ حالةِ الغبطةِ تحدُث أيضًا حريّة الخيال. في هذه اللحظة بالذات أكون حرّة.

وفوق الحريّة، فوق فراغٍ ما، أؤلّف موجاتٍ موسيقيّةً هادئةً ومكرّرة. جنون الابتداع الحرّ. هل تريد أن تراه برفقتي؟ المشهد، حيث تحدث هذه الموسيقى؟ هواء، غصون خضراء، بحر ممتدّ، صمت صباح يوم الأحد. رجلٌ نحيل بقدمٍ واحدة له عينٌ صافيةٌ كبيرةٌ وسط جبينه. كيانٌ أنثويٌّ يقترب حابيًا، يقول بصوت يبدو آتيًا من كونٍ آخر، ليس صوتًا مثل الصوت الأوّليّ، بل صدى صوتٍ أوّليّ لم يُسمع. الصوت غريب، بهيج، ويتحدّث بدافع العادة عن حياةٍ ماضية: هل ترغب بقليلٍ من الشاي؟ لا ينتظر الردّ. يلتقط سنبلة قمح ذهبيّة، يضعها بين لثّتيه العاريتين من الأسنان، ويبتعد حابيًا، عيناه مفتوحتان. عينان ثابتتان مثل الألف. يضطرّ لتحريك رأسه الخالي من العظام لكي ينظر إلى الشيء. ولكنْ أيُّ شيء؟ غفى الرجل النحيل في هذه الأثناء فوق قدمه، وترك عينه تغفو من دون إغماضها. إغفاء العين يعني عدم الرّغبة بالرؤية. وعندما لا ترى، تنام. في العين الهادئة

يعكس السهل ومعه قوس قزح. الهواء روعة. وتبدأ الموجات الموسيقيّة من جديد. شخصٌ ما ينظر إلى أظافره. وصوتٌ من بعيد: صه! صه!... ولكن لا يخطر للرجل - ذو - القدم - الوحيدة أنّهم ينادونه. صوتٌ يأتي من الجانب، مثل الناي الذي يبدو أنّه يعزف من الجانب - صوتٌ يبدأ من الجانب، يخترق الموجات الموسيقيّة من دون هزّة، ويتكرّر لمدّةٍ طويلة بحيث ينحت الصخر بمائه الذي يقطّر دون انقطاع. إنّه صوت مرتفع للغاية، دون أفاريز. نغمٌ فرح متقطّع وحادٌ مثل حِدّة الناي الخافتة العذبة. إنّها أعلى وأسعد درجة موسيقيّة يمكن أن تؤديها ذبذبة. لا يمكن لأيّ إنسانٍ أن يسمعها من دون أن يُمس بالجنون فيبدأ بالابتسام وباستمرار. لكنّ الرجل الذي يقف على قدمه الوحيدة ينام واقفًا. والكائن الأنثويّ المستلقي على الشاطئ لا يفكّر. شخصيّةٌ أخرى تعبر السهل الخالي وتبتعد عَرَجًا. يُسمع: صه؛ صه! ولا أحد يُنادي.

إنتهى الآن المشهد الذي ألفته حرّيّتي.

إنّي حزينة. توعّكٌ ناتج عن النشوة التي لا تتّسع لها حياة الأيّام. يجب أن يعقب النومُ النشوةَ لتخفيف اهتزازها البلّوريّ الرنّان. يجب نسيان النشوة.

الأيّام. إنّي حزينة بسبب هذا الضوء اليوميّ الفولاذيّ الذي أعيش فيه. أتنفّس رائحة الفولاذ في عالم الأشياء.

لكن، الآن أرغب بقول أشياء تريحني، والتي هي حرّة قليلًا، على سبيل المثال: الخميس يوم شفّاف كجناح حشرة في الضوء. كما أنّ الإثنين هو يوم مضغوط. في أعماقي، أبعد من وراء الفكر، أعيش من هذه الأفكار، هذا إذا كانت أفكارًا. إنّها أحاسيس تتحوّل إلى أفكار، لأنّني مجبرةٌ على استخدام الكلمات، حتى ولو كان استخدامها عقليًّا فقط. الفكر الأوّليّ يفكّر بالكلمات. «الحرّيّة» تتحرّر من عبوديّة الكلمات.

الإله خلقٌ وحشيّ. أخشى الإله لأنّه كامل جدًّا بالنّسبة لحجمي. وأشمّ أيضًا بنوع من الحياء تجاهه: بعض أشيائي ولا حتى هو يعرفها. خوف؟ أعرف «هي» تشعر بالرعب من الفراشات كما لو أنّها كائناتٌ خارقة. إنّ الجزء الإلهي من الفراشات مرعبٌ في الواقع. وأنا أعرف «هو» يرتجف من الرعب أمام الزهور ـ يعتقد أنّ الزهور حسّاسةٌ بشكلٍ مخيف مثل تنهيدة لا أحدٍ في العتمة.

أنا من تسمع الصفير في العتمة. أنا من تعالي من

حالة الانسان. أتمرّد: لم أعُد أريد أن أكون شخصًا. من؟ من يرحمنا نحن الدارين بالحياة وبالموت، بينما الحيوان، وأنا أحسده بعمق ـ لا يُدرك حالته؟ من يشفق علينا؟ هل هُجرنا؟ هل تُركنا لليأس؟ لا، يجب أن يكون هناك عزاءٌ ممكن. أقسم: لا بدّ من وجود عزاء. ما لا أملكه هو الشجاعة لقول الحقيقة التي نعرفها. هي كلماتٌ ممنوعة.

لكنّي أستنكر. أستنكر ضعفنا، أستنكر الرعب الهائل من الموت ـ وأردّ على كلّ هذا الهوان بفرح ـ هذا بالضبط ما سوف يبقى مكتومًا ـ وأردّ على كل هذا الهوان بفرح ـ فرحٍ خالص. وخَلاصي الوحيد هو الفرح. فرحٌ مُبهر لحدثيّ داخل الـ *it* الأوليّ. أليس هذا منطقيًا؟ حسنًا، من المفروض أن يكون. لأنّه ظلمٌ فظيع أن نعرف أنّ الحياة واحدة فقط، وأنّه لا ضمان لنا سوى إيماننا بالظلمات ـ لأنّه ظلمٌ فظيع. أُجيب بصفاء فرحٍ جامح. أرفض الحزن. فلنبتهج. كل من لا يخشى أن يكون سعيدًا وأن يشعر ولو مرّةً واحدة بالفرح المجنون والعميق سيحصل على أفضل جزءٍ من حقيقتنا. أنا ـ على الرّغم من كلّ شيء، أو بالرّغم من كلّ شيء ـ أشعر بالبهجة في هذه اللّحظة ـ الآن التي ستمرّ إن لم أدوّنها بكلمات. إنّي أشعر بالفرح

في هذه اللّحظة، لأنّي أرفض أن أهزم: لذلك أحبّ. كجواب. حبّ غير شخصيّ، حبٌّ *it*، هو الفرح. حتى الحبّ الذي يفشل، حتى الحبّ الذي ينتهي. موتي وموت من نحبهم يجب أن يكون بهيجًا. ما زلت لا أعرف كيف،! لكنْ لا بدّ من ذلك. هذا هو العيش، فرحة *it*. وأن أكون راضيةً، لا كما مهزومة، ولكن في ألغرو كون بريو.

كما أنّني لا أريد أن أموت. أنا أتمرّد على «الإله». دعنا لا نموت كتحدٍّ؟

لن أموت، هل تسمعني أيّها الإله؟ لا أملك الشجاعة، هل تسمعني؟ لا تقتلني، هل تسمعني؟ لأنّه هوان أن نولد وأن نموت من دون معرفة متى وأين. سأكون سعيدةً جدًّا، هل تسمعني؟ كردٍّ، كإهانةٍ. أضمنُ شيئًا واحدًا: لا ذنب لنا. ومن الضروريّ أن أفهم بينما أنا على قيد الحياة، هل تسمع؟ لأنّه فيما بعد سيكون الأوان قد فات.

آه، لهذا الوميض من اللّحظات الذي لا ينتهي أبدًا، هل نشيدي لـ *it* لا ينتهي أبدًا؟ سأنهيه عمدًا وبفعلٍ طوعيّ. ولكنّه سيستمرّ بارتجالٍ مستمرّ، مؤلّفًا الحاضر الذي هو المستقبل.

كائنٌ، هذا الارتجال.

هل تريد أن ترى كيف سيستمر؟ الليلة الماضية ـ الشرح صعب ـ الليلة الماضية حلمتُ أنّي كنتُ أحلم. هل يمكن أن يكون الأمر هكذا بعد الموت؟ حلمُ حلمٍ لحلمِ حلمٍ؟

أنا هرطوقيّة. لا، هذا ليس صحيحًا. أو لعلّه صحيح؟ ولكنْ ثمّة شيءٌ موجود.

آه العيش غير مريح أبدًا. كلُّ شيء يضيق: الجسد يتطلّب، الروح لا تتوقّف، العيش مثل الإحساس بالنعاس وعدم القدرة على النوم ـ العيش مزعج. لا يمكنك المشي عاريًا لا من الجسد ولا من الروح.

ألم أقل لك أنّ العيش لا يتّسع؟ حسنًا، نمتُ وحلمتُ أنّني أكتب لك لارغو مهيب، وكان أكثر واقعيّةً حتى ممّا أكتبه لك: كان خاليًا من الخوف. نسيت ما كتبته في الحلم. كلُّ شيء رجع إلى اللّا شيء. عاد إلى جبروت الموجود والذي يُسمّى أحيانًا بالإله.

كلُّ شيء ينتهي، لكنّ ما أكتبه لك يستمرّ. وهذا أمرٌ جيّد. جيّد جدًّا. الأفضل لم يُكتب بعد. الأفضل يكمن بين السطور.

اليوم السبت، وهو مصنوع من الهواء الأنقى، هواء لا غير.

أتحدّث إليك كتدريبٍ عميق، وأرسم كتدريبٍ خاصّ بي عميق. ماذا أريد أن أكتب الآن؟ أريد شيئًا هادئًا وبدون أيّ طِراز. شيئًا مثل ذكرى نُصبٍ طويل، ويبدو أطول لأنّه هو ذكرى. سأتوقّف لأنّه يوم السبت.

ما زال السبت.

وذلك الذي سوف يكون لاحقًا ـ هو الآن. الآن هو مجال الآن. وبينما يستمرّ الارتجال، أُولَد.

فجأةً، وبعد أمسيةٍ مليئةٍ بـ «مَن أنا»، وبعد استفاقةٍ مذعورةٍ في الواحدة بعد نصف الليل ـ والآن فجأةً في الثالثة صباحًا، استيقظتُ والتقيتُ بنفسي. ذهبت للقيا نفسي. هادئةً، فرحةً. اكتمال من دون وميض. أنا ببساطة أنا. وأنتَ أنتَ. وإنّه شاسعٌ وسوف يدوم.

وما أكتبه لك هو الـ «هذا». لن يتوقّف. يستمرّ.

أنت تنظر إليّ وتحبّني. لا: أنت تنظرُ إلى نفسك وتحبُّها. هذا الصحيح.

ما أكتبه لك يستمرّ. وأنا، فقد مسّني السّحر.